14 me Année No. 656

Lundi —28—1—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٥٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٤ صفر سنة ١٣٦٥ — ٢٨ يناير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

بين شيخ وشاب :

حوار سـياسى

فى مجلس من مجالس الرأى يندو إليه صحابة من أحرار الفكر قد اطمأنوا فى حياتهم الوديعة إلى قسمة القدر بعد أن اضطربوا فى المكاسب، وتقلبوا فى المناصب، وتمرسوا بالأمور، وبلغوا غاية المقدور لهم من مطالب العيش ومآرب النفس؛ فهم يمثلون الرأى الصريح، ويستعملون المنطق الخالص، ويرفعون أنفسهم فوق الأوضاع والأطماع والسياسة، فلا تقيدهم وظيفة، ولا تعبّدهم شهوة، ولا يقودهم حزب؛ فى هذا المجلس تُستعرض كل ليلة أخبار اليوم وأقوال القوم، فتوزن بالميزان القسط، وتنقد بالنظر الثاقب، فلا يورَد خبر أو قول إلا حاكه رأى، ولا رأى إلا هاجه اعتراض، ولا اعتراض إلا ساوره شبهة.

وأكثر السامرين فى هذا المجلس من الكُنتيين، فكثيراً ما تسمع كنتُ وكنتُ، وقليلا ما تسمع سأكون وأكون؛ لذلك كان التشاؤم الذى تقتضيه ذكرى الماضى، غالباً فيه على التفاؤل الذى يستوحيه رجاء المستقبل! والشباب الذين يختلفون إليه يهولهم منه عُرى الحقيقة وجفاء الواقع، فيستحبون عليهما توشية الأحلام وتزوير المنى، ليستدعوا لأنفسهم بواعث النشاط وحوافز الأمل:

وفى إحدى الجلسات الأخيرة جرى بين شاب من هؤلاء وشيخ من أولئك هذا الحوار نسوقه إليك على سرده تصويراً لروح هذا المجلس:

الشاب: وما ذنبنا فى هذا الضعف الذى نمانيه؟ أيستطيع قصير القامة أن يطول، ورخو العظام أن يصلب؟

الشيخ: أما الضعف الناشئ عن قلة العدد وضيق الرقعة فلا حيلة لنا فيه؛ وأما الضعف الناشئ من سوء الخلق وقلة العلم فلا عذر لنا منه. والناس يقوّمون بالأرواح لا بالأجساد، ويقدّرون بالصفات لا بالأعداد. فلو كان الشرقيون قد بلغوا ما بلغ الغربيون من المدنية والثقافة، لاستحيا هؤلاء أن يعاملوهم كما يعاملون الأرقاء، وأن يساوموهم كما يساومون الأشياء!

الشاب: وهل يمنعنا هذا الضعف العارض من أن نطلب الحق ونغضب له ونفاوض فيه؟

الشيخ: وهل تطلب حقك من غاصبيه إلا بإحدى وسيلتين: وسيلة القوة وليس لك جيش، ووسيلة المنطق وليس عندك سلعة؟ إن طلب الحق على هذه الحال استجداء؛ والمستجدى يسأل ولا يفاوض، ويقبل ولا يعارض!

الشاب: إن الضعيف يستطيع أن يخدش إذا لم يستطع أن يبطش. والخدش فى وجه القوى عيب يهمه ألا يكون على أن القوة ستحققها الجامعة العربية. ومن حبات الرمل يكون الجبل، ومن قطرات المطر يكون النهر. واستعباد العروبة المتحدة عسير؛ وازدراد الكتلة الضخمة أعسر. ومتى تيسرت

القوة للقادة ، تيسرت الحجة للساسة .

الشيخ : إن الجامعة العربية من وحى الخصم وتدبيره . ولو كان (إيدن) يخشاها لما أوحاها . والعبرة ليست بالعدد كما قلت لك ؛ فإن فى الهند وفى جزر الهند كية ، ولكن فى انجلترة وهولندة كيفية . ومايستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور!

على أن العرب تيقظوا متأخرين . تيقظوا فى عصر الذرة ، ولو أنهم استيقظوا فى عصر الفحم لوجدوا مسافة تخلفهم عن الغربيين فيه تبلغ قرناً أو تزيد .

الشاب : وما ذا يضير لو كانت الجامعة العربية من وحى الخصم وتدبيره ما دام يومها لغدنا وأمرها بيدنا وقوتها بنا وخيرها لنا ؟ وهل يقدح فى ملكيتك لبيتك أو يمنع من انتفاعك به أن يعاونك صديق على بنائه ليستند إلى جداره ، أو يفىء إلى ظله وهو فى الطريق إلى داره ؟

على أن الإنجليز أكيس من أن يناصبوا العرب العداء ، فإن البلاد العربية إذا عادتهم يكون موقعها من ملكوتهم موقع الغصة فى الحلق والخثرة فى الدم ، هذه تقف القلب وتلك تكظم النفَس : وما كان أيسر الغصة وأهون الخثرة لولا أنهما اعترضتا طريق الحياة ! ونشوب العظم فى حلقك يؤذيك وقد يرديك ، ولكنك لا تتخلص منه بالرصاص إلا إذا تخلصت من نفسك !

ذلك إلى أن الخلاف بين الدول العظمى على استعمار الشرق يقبض عنان كل دولة عن الافتيات بالأثر والجنوح إلى القوة . ولو صح أن روسيا وفرنسا تسيران وحيًّا فى طريق الكشف عن القنبلة الذرية ، لكان من أمل الأمم الضعيفة أن تجداها حتى يصبح التهديد بها عبثاً لا يجدى ولغواً لا يفيد !

الشيخ : أوافقك على أن موقع البلاد العربية يملك على انجلترة الحياة والموت ، وأن الخلاف بين الدول المستعمرة يفوّت على كل منها الانفراد بالرأى والحكم ، وأن شيوع الطاقة الذرية يبطل الركون إلى القوة فى تسويغ العدوان والظلم ؛ ولكن مَن مِن الساسة الذين تراهم اليوم يتبوأون كراسى الحكم فى دول العروبة يستطيع أن يستغل هذه الأسباب لفائدة مصر ومنفعة العرب ؟ إن أكثرهم يحترفون السياسة من غير أداة ولا آلة . وإن وثب من يثب منهم إلى الحكم أو بقاءه فيه ، إنما يعتمد على ذرائع غير طبيعية ليس منها على كل حال براعة الذهن ولا نبالة الغرض ولا إرادة الشعب . وأمثال هذه (الكفايات) التى أقامتها المصادفات والحظوظ على أسناد من الدعاية والخداع والتمليق والتفريق والمحاباة والتساهل لا يمكنها أن تزاول الإصلاح لأنها صنيعة الفساد ، ولا أن تصاول القوة لأنها وليدة الضعف ، فقصارى أمرها أن تصانع ولا تصنع ، وتقول ولا تعمل ، وتدور ولا تسير . وما دام الرجل الذى يخلقه الله للاصلاح ويرسله بالهدى ويؤيده بالخلق ، لا يزال وراء الغيب ، فإن الأمل فى وحدة العرب ونهضة الشرق يظل أوهن من حبال الهباء وأبعد من أشباح الوهم ! وإنى لأجيل النظر والفكر وأتقصاهما فى الأفق الغائم البعيد فلا أتبين لظهور هذا الرجل المنتظر شرطاً ولا علامة .

الشاب : أراك أسقطت الشباب من حسابك ، كأنهم غير أحرياء بحمل الشعلة وهم ثمار جهد طويل بذلته الأمة فى تنشئتهم وتثقيفهم ؛ فهل كانت الشهادات المختلفة الدرجات والغايات ، والألقاب الممنوحة من المعاهد والجامعات ، دلائل على الجهالة وعناوين للأمية ؟

الشيخ : إن الأبناء أشبه بآبائهم من الليلة بالليلة . وإن الدار والمدرسة على حالها الحاضرة لتعجزان عن تخريج طبقة من الشباب يخرج منها ذلك الرجل الموعود الذى تموت (أنا) فى لسانه وتحيا فى ضميره ، ويتحد فى ذهنه وجود ذاته بوجود شعبه ؛ فهو يحس أله لأنه مجتمع شعوره ، ويدرك نقصه لأنه مجتلى عقله ، ويملك قياده لأنه مظهر إرادته ؛ ثم يرتفع بسمو نفسه ونزاهة هواه عن أوزار الناس وأقذار الأرض ، فلا يطمع لأن غرضه أبعد من الدنيا ، ولا يحقد لأن همه أرفع من العداوة ، ولا يحابى لأن فضله أوسع من العصبية ، ولا يقول قولا أو يعمل عملا إلا إذا وافق الدين الذى يعتقده ، والمبدأ الذى يؤيده ، والشعب الذى يقوده !

الشاب : إنك يا سيدى تسرف فى التشاؤم لأنك شيخ !

الشيخ : وإنك يا بنى تسرف فى التفاؤل لأنك شاب .

ولعل الحق أن يكون بينى وبينك !

احمد حسن الزيات

في إرشـــاد الأريب
إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢٤ —

ج ١٤ ص ٨٤ : قال (على بن عيسى الرَّبَعي : أخرج إلىَّ عضد الدولة بيده مجلدا بأدم مبطناً بديباج أخضر مذهباً مفصولا بالذهب بخط أحسنَ ، فيه شعر مدّبَّر وحسن ليس له معنى، فقال لى كيف ترى هذا الشعر ؟ فقلت : شعر مدّبَّر والذى قاله خرب البيت ، مسود الوجه . ثم يمضى على ذلك زمان ودخلت إليه ، فأومأ إلى خادم وقال له : امض إلى مرقدنا وجئنا بشعرنا ، فمضى وجاء بالمجلد بعينه ، وهو هو ، فأبلست ، فقال : كيف تراه ؟ وتلجلج لسانى وربا فى فمى فقلت : حسنا جيدا .

قلت : (بخط حسن أو محسَّن) .

(فيه شعرُ مدْبِر ليس له معنى) أو (شعرٌ مُدْبِرٌ) .

(فقلت شعر مدبر والذى قاله خرب البيت) .

ومدبر متأخر متخلف ، والأدبار نقيض الاقبال وأدبر أمر القوم : ولى لفساد كما فى اللسان .

ويظهر من خبر رواه أبو البركات الانبارى فى (نزهة الالباء فى طبقات الأدباء) ص ٤١٥ أن الربعى كأن يستعمل هذا الوصف — أعنى مدبرا — لكل ضعيف متأخر فى صناعته ، قال :

كان (الربعى) مبتلى بقتل الكلاب ، فيحكى أنه اجتمع هو وأبو الفتح بن جنى يمشيان فى موضع ، فاجتازا على باب خربة ، فرأى فيها كلبا ، فقال لابن جنى : قف على الباب ، ودخل فلما رآه الكلب يريد أن يقتله هرب ، ولم يقدر ابن جنى على منعه ، فقال له الربعى : ويلك يا ابن جنى ! مدبر فى النحو ، ومدبر فى قتل الكلاب ...

قلت : قول الربعى لابن جنى — وهو يداعبه — مدبر فى النحو — طرفة الطرف ، وياليت أنه قال مدبر فى التصريف حتى يجىء كلامه أعجوبة ...

فى يتيمة الدهر للثعالبى :

كان (عضد الدولة) على ما مُكن له فى الأرض ، وجُعل إليه من أزمة البسط والقبض ، وخُص به من رفعة الشأن ، وأوتى من سعة السلطان يتفرغ للأدب ، ويتشاغل بالكتب ، ويؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الأمراء ، ويقول شعرا كثيرا يخرج منه ما هو من شرط هذا الكتاب من اللح والنكت .

فى نزهة الألباء فى طبقات الأدباء :

يحكى أن أبا على (الفارسى) لما صنف كتاب (الإيضاح) لعضد الدولة وأتاه به ، قال له عضد الدولة : هذا الذى صنفته يصلح للصبيان ، فصنف له (التكملة) بعد ذلك . ولو صدر هذا الكلام من بعض أئمة النحويين لكان كبيرا فكيف من بعض الملوك ؟

فى وفيات الأعيان :

وهو (عضد الدولة) أول من خوطب بالملك فى الإسلام ، وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة ، وكان فاضلا محبا للفضلاء مشاركا فى عدة فنون .

فى شرح النهج لابن أبى الحديد :

قال بعضهم دخلت على عضد الدولة فوجدت فى وجهه عين ، وأنف فم وأنف أذن ...

فى الإيجاز والإعجاز للثعالبى :

كان عضد الدولة يقول : الدنيا أضيق من أن تسع ملكين .

يقول أبو بكر الخوارزمى فى عضد الدولة :

ختمت بك العجم الملوك وراجعت بك تاج ملكهم القديم المبهج
لم يفقدوا بك أردشير وإنما فقدوا نقيصة دينه المستسمج

وفيه يقول المتنبى :

أروض الناس من ترب وخوف وأرض أبى شجاع من أمان
تذم على اللصوص لكل تجر وتضمن للصوارم كل جان
إذا طلبت ودائعهم ثقات دُفعن إلى المحانى والرعان
فباتت فوقهن بلا صحاب تصيح بمن يمر أما ترانى ؟ !
رقاه كل أبيض مشرفى لكل أصم صل أفعوان
حمى أطراف فارس شمَّرى يحض على التباقى بالتفانى
فلو طرحت قلوب العشق فيها لما خافت من الحدق الحسان[1]

(١) قلت : هذا البيت ذو معنى عجيب .

دان له شرقها ومغربها ونفسه تستقل دنياها
تجمعت في فؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداها
فان أتى حظها بأزمنة أوسع من ذا الزمان أبداها

في كتاب الفَرْق بين الفِرَق :

... كان أبو شجاع فناخسرو بن بويه قد تأهب لقصد مصر وانتزاعها من أيدى الباطنية (يعنى العبيديين) وكتب على أعلامه السود : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، الطائع لله أمير المؤمنين ، ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين . فلما أخرج مضاربه للخروج إلى مصر غافصه (فاجأه) الأجل فمضى لسبيله .

في كتاب تجارب الأمم لمسكويه :

وفي سنة ٣٦٩ دبر عضد الدولة أن يقع بينه وبين الطائع لله وصلة بابنته الكبرى ، ففعل ذلك ، وعقد العقد بحضرة الطائع لله وبمشهد من أعيان الدولة والقضاة على صداق مئة ألف دينار ، وبُنى الأمر فيه على أن يرزق ولداً ذكراً منها فيولى العهد ، وتصير الخلافة في بيت بنى بويه ، ويصير الملك والخلافة مشتملين على الدولة الديلمية ... !!!

قلت : وهذه الخلافة لم يبق لها قبل أن ينوى القوم سلبها إلا الاسم . قال البيرونى في (الآثار الباقية عن القرون الخالية) : إن الملك قد انتقل في آخر أيام المستكفى من آل العباس إلى آل بويه ، والذى بقى في أيدى العباسيين إنما هو أمر دينى اعتقادى لا ملك دنياوى كما لرأس الجالوت عند اليهود من أمر الرئاسة الدينية من غير ملك ولا دولة ، فالقائم من ولد العباس الآن إنما هو رئيس الإسلام ...

* * *

ج ١٢ ص ٩٢ :

تحبب أو تدرع أو تأبى فــلا والله لا ازداد حبا
أخذت ببعض حبك كل قلبى فان رمت المزيد فهات قلبا

وجاء في شرح (تأبى) : كانت في الأصل تغيا فأصلحناه إلى ما ذكر للمناسبة والألف للاطلاق .

قلت : قال ابن خلكان في (وفيات الأعيان) :

أخبرنى بعض الأفاضل بمدينة إربل في سنة (٦٢٥) قال : كنت ببغداد في سنة (٦٢٠) بالمدرسة النظامية فقعدت يوما على بابها إلى جانب أبى الدر (ياقوت بن عبد الله الرومى الملقب مهذب الدين) ونحن نتذاكر الأدب إذ جاء شيخ ضعيف القوى والحال يتوكأ على عصا فجلس قريبا منا ، فقال لى أبو الدر : أتعرف هذا ؟ فقلت : لا ، فقال : هذا مملوك حيص بيص الذى يقول فيه :

تشربش أو تقمص أو تقبّا فلن تزداد عندى قط حبا[1]
تملك بعض حبك كل قلبى فإن ترد الزيادة هات قلبا[2]

فجعلت أنظر إليه ، وأفكر فيما كان عليه ، وما آل حاله إليه .

قلت : (تشربش) لبس ثوبا ذا شرابيش . في التاج : الشربش كجعفر : هدب الثوب جمعه شرابيش .

في (المعرب) للجواليقى : القباء قال بعضهم هو فارسى معرب ، وقيل : هو عربى ، واشتقاقه من القبو وهو الجمع والضم . وفي التاج : قال القاضى المعافى : هو (القباء) من ملابس الأعاجم في الأغلب ، ومن قال إنه عربى فاما لما فيه من الاجتماع ، وإما لجمعه وضمه إياه عند لبسه ج أقبية ، وقبّى الثوب : جعل منه قباء ، وتقبّاه لبسه .

في الفائق : كعب رحمه الله تعالى : أول من لبس القباء سليمان ابن داود (عليهما السلام) فكان إذا أدخل رأسه الثياب كنصت الشياطين أى حركت أنوفها استهزاء به ، يقال : كنص فلان في وجه صاحبه .

(١) (قط) ذكرناها من قبل ، وقد يكون أصل (تحبب أو تدرع) تجلب أو تدرع أو تمدرع أى البس جلباباً أو مدرعة .

(٢) (هات قلباً) لم يربط الجزاء بالفاء ، يقول القسطلانى في شرح البخارى : حذف الفاء من الجزاء سائغ شائع ، ومن خص هذا الحذف بضرورة الشعر فقد حاد عن التحقيق ، وضيق حيث لا تضييق .

الفكرة العـــربية وحاجتها لمذهب سياسى فلسفى

تعليق على مقال

للأستاذ أحمد رمزى

أثار مقال الأستاذ عبد المنعم خلاف بعدد (الرسالة) الماضى حول الجامعة العربية وضرورة قيام فلسفة خاصة بها الكثير من الشجون ، وأحيا لى ذكرى فترات من الماضى القريب ، فرجعت إلى صفحات مطوية من مذكرات يومية وتقارير سياسية ، لألمس مرة أخرى المصاعب والمشاكل التى وقفت فى طريق الفكرة العربية بمصر ، وما لقيه أنصارها من عنت ومصادمة ، وما واجه كل مؤمن بها مجاهد لأجلها من صدّ عنها وتحويل عن طريقها السوى .

ونعيد النظر اليوم إلى ما وصلت إليه وما حققت من أهداف ، فنفرح مع الفرحين ونتهلل ، وتمتلئ نفوسنا إيماناً من جديد وثقة وأملا فى المستقبل ، ونحمد المولى جل وعلا أن ظهرت جامعة الأمم العربية كعامل مستقل من العوامل التى سيحسب لها فى شؤون العالم وأموره حساب ، وذلك ما أشرنا له ونادينا به وتحملنا الكثير من الأذى فى سبيل الوصول إليه .

وكلما رجعت بالبصر إلى الوراء ، وقست المراحل التى قطعت ، والعقبات التى أزيلت ، مع قصر الوقت وضعف الجهود ، ازددت يقيناً على يقين بأن نجاح الفكرة العربية بمصر ونضوجها وإيمان الناس بها : هى نفحة من نفحات الله ، وإن هذه الحركة المباركة ليست من عمل الإنسان ، بل يد الله فوق الجميع ، هى التى هيأت لها الأسباب وجمت لها القلوب ، ودفعت بالفكرة دفعاً إلى الأمام فآمن بها جماعات من الناس ، واقتنعوا بها أفواجاً ، بعد أن كان اللائذون بها يعدّون على الأصابع.

وكان من دلائل الساعة وإرادة الله أنه ما ارتفع صوت ضدها إلاوانضم فى النهاية إليها ، وماجُرِّد قلم لمحاربتها والحط من قيمها ومبادئها إلا وانطوى تحت لوائها ، وأصبح بوقاً من أبواقها ، وسيفاً من سيوفها .

فلا فضل لأحد على العروبة بمصر ، وإنما هى إرادة الله ، ولاراد لحكمه، سبحانه إذا أراد شيئاً هيأ له الأسباب . هذا هو إيمانى ، وتلك هى عقيدتى .

ومن الناس من يقول : إن الدفعة المصرية نحو العروبة مفتعلة وغير دائمة ولا جذور لها . ودليلهم على ذلك أنهم يردون أصولها إلى بعض عوامل السياسة الداخلية ، فهى فى نظرهم تسابق بين فريقين لنيل الحظوة واقتناص الظفر واحتكار الجهاد ، وهناك آخرون ممن لا يؤمن بها قطعاً ويرى فيها شراً مستطيراً، فهو ينفر منها على أنها ليست من صنع العرب ، وإنما هى من عمل الإنجليز تحمل طابع إيدن وختم وزارة الخارجية البريطانية ، ولا سبيل لإقناع الطرفين ، وإنك لن تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء .

كل هذا لا يعنينا بقدر حماس الجماهير للفكرة وتشبثهم بها ، وبقاء هذا الحماس حياً ملموساً واضحاً لا يعتريه هبوط أو فتور ، وإنا لنأخذ على الجماهير أنها سريعة الحماس لأخذ الفكرة والتمسك حيناً من الدهر بها ، ولكنها سريعة التسليم بخطأ هذه الفكرة إذا تأخرت عن تحقيق الأهداف العاجلة ، وأن آفة الجماهير هو سرعة الانتقال من الغضب إلى الرضا ، ومن الحماس إلى الفتور ، ثم من الفتور إلى النسيان ، فما الذى أعددناه لكل ذلك ؟

الجواب على ذلك أننا لم نعمل شيئاً ، إذ لا تزال الفكرة العربية فى حاجة إلى حشد جميع القوى العليا فى العقل والروح ، لتكون عنصراً ثابتاً من عناصر الشخصية المصرية المنبثقة من روح الشعب وإيمانه وتاريخه .

ولقد أحسن الأستاذ عبد المنعم خلاف صنعاً حين أثار موضوع فلسفة العروبة لمّا قال : « إن السياسة ليست دائماً ذات إيمان »! إنى أسلم بأن دعوته جاءت فى وقتها ، فله عظيم الشكر والأجر على إثارتها ، وأدعو الله أن يوفق العاملين لتلبية هذه الدعوة ، وأن تلقى دعوة العروبة من ناحية رجال الفكر ما تستحق من عناية ، حتى تخرج لنا فلسفتها الحية التى سوف تملك النفوس والعقول معاً . وأعتقد أنه يسر إن وجد من يشاركه إحساسه ، ومن يشعر

بشعوره ، فقد ورد شيء من ذلك في تقرير بعثتُ به إلى الحكومة المصرية قلت فيه : « إن مبادىء الحركة العربية ودوافعها لم تتبلور بعد التبلور الكافي في شكل مذهب سياسي وفلسفي ، كما أن نشاطها وأهدافها واتجاهاتها لم تأخذ بعد القالب الذي يجعل منها عاملا قائماً بذاته فيحسب له حساب في الشئون الدولية مستقلا عن العوامل الأخرى . ولكن القضية العربية عامة — برغم هذا — قد أصبحت حقيقة تاريخية لها وزنها وأهميتها بدليل تقدم الدول المحاربة وغير المحاربة لخطب ود العرب واستمالتهم والمناداة بصداقتهم ، فليس من مصلحة مصر تجاهل هذه القضية والإعراض عنها أو الوقوف إزاءها موقفاً محايداً ، خصوصاً وأن وراء مصر ثلاثة عشر قرناً من التاريخ العربي لها في حقباته وأدواره المختلفة مواقف تاريخية خالدة .

* * *

كان ذلك في ١٣ مارس سنة ١٩٤١ ، حينما أتاحت لي الظروف المساهمة بقسط ضئيل في خدمة قضية العرب ، وقد مرت الأيام سراعاً ، وحققت الفكرة بعض أهدافها السياسية وأخذت طابع العامل المستقل عن العوامل الأخرى في شئون العالم ، ولكن لم تتحقق الناحية الأولى ، وهي ظهور الفكرة كمذهب سياسي فلسفي .

فهل نؤمل أن تتبنى مصر هذه الفكرة وتخرجها كما تبنت الناحية السياسية ؟

إن أشد الناس تفاؤلا لم يكن يؤمل نجاح الفكرة العربية هذا النجاح الشاهد اليوم ، خصوصاً في مصر دون سائر البلاد العربية ، حيث استمرت عوامل الهدم والتفرقة تعمل بنشاط وحماس ضد كل ما هو عربي لسنوات عديدة بغير أن تلقى أي مقاومة ، حتى همدت الروح المصرية العربية المستمدة من عناصر الفتح وجهاد القرون الماضية . ولما كانت سنوات الحرب العالمية الثانية بمثابة فترة لا تقل في أهميتها عن نصف قرن من الزمن ، جاء تطور الأهداف السياسية وتقارب الشعوب العربية سريعاً جارفاً لدرجة لم تتمكن العقول من استيعاب وتقدير ما مر حولها من الأحداث والتغييرات المفاجئة .

ولذلك لا تستغرب أن تجد الكثير من شباب مصر يتساءلون:

ما هي العروبة ؟ وما هي أهدافها ؟ كيف تكون عربياً ومصرياً في نفس الوقت ؟ !

وهي أسئلة ليس من السهل الإجابة عليها ، ويصعب إقناع ذويها بالقيم العربية إذا لم تكن أفهامهم وعقولهم وآذانهم مستعدة لقبولها ، خصوصاً إذا كان بعضهم يجهل التاريخ العربي جهلا تاماً ولا تستهويه حلقات التاريخ المصري في العهود العربية ، أو يكون قد تلقى دروس الماضي على طريقة تجعله يأنف منها كلما اتصلت بالعرب وفتوحاتهم ومدنيتهم وثقافتهم وأثرهم في قيادة العالم وشعوبه ، فهو مضطر : إما أن يجدد معلوماته ، وإما أن يترك الفكرة لغير سبب يبديه !

ونجد أن الجامعة العربية ، وقد اختارت القاهرة مركزاً لها ، من أول واجباتها أن تحضر الرأي العام المصري لذلك ، وأن تجعل لهذا النشاط قسماً خاصاً به ، ولمن تهتم بالناحية الفكرية التي تحدثنا عنها لتبنى بناء ثابت الأركان .

وسوف تسمع أن فريقاً من الناس يستكثر ما تصرفه مصر على الجامعة ، أو على بعثاتنا الثقافية في البلاد الشقيقة ، وأن فريقاً لا يفهم معنى لحفلات التعارف والتفاهم بين العرب ، وذلك كله نتيجة لسياسة التفكك التي فُرضت على المصريين ، والتي عملت على قطع الصلات بين حاضرهم وماضيهم ، وحصرت آمالهم في دائرة ضيقة ، مما يجعل العناصر الإنشائية في البلاد محتاجة إلى بذل مجهود طويل لإزالة آثارها .

ونحن نؤمن بأن عناصر العروبة الكامنة في الشعب المصري لن تفنى بعد اليوم ، بل ستخرج وهي أكثر مضاء وقوة وعزيمة ، وستحطم هذا الغشاء الصناعي الواهي الذي أحاطها به سنوات الجمود وسياستها الغاشمة التي أفهمته أنه أمضى آلاف السنين يرزح تحت أغلال العبودية ، حتى لا يتعرف على صفحات المجد التي كتبتها العروبة في بلاده ، ولكي يعمى عن شخصيته ومجد الآباء والأجداد .

* * *

لقد أوحى إلينا مقال الأستاذ عبد المنعم خلاف بهذه الكلمة العابرة عن هذه الحركة التاريخية ، ونحن إذ نختتمها نؤمل أن يوالي هو وغيره من كتاب العرب في مصر وبقية البلدان العربية

من ذكريات بغداد

للأستاذ على الطنطاوى

ما الذى هاج فى نفسى هذه العشية ذكر بغداد ، ونشر أمام عينىّ ما انطوى من ذكرياتها وما مات من أيامها ؟ ما الذى رجعنى إلى تلك الليالى حتى كأنى — لفرط ما تشوقت إليها ، وأوغلت فى ادّكارها — أعيش فيها .؟ أى سحر فيك يا بغداد جذب قلبى إليك ، فلم أنسَك إذ أنا فى بلدى الحبيب ، ولم أزل أحنّ إليك وأشتاقك ؟

بغداد ... يا بغداد ، عليك منى سلام الود والحب والوفاء ، على المعظّم على الصُّلَيخ على الكرّادة على الكرخ سلام الفؤاد الشوق الولهان ، على ليالينا «بين الرصافة والجسر» . ما كان أحلى تلك الليالى ! لقد كنت أشكو فيها ألم الغربة وأحن إلى الوطن ، فصرت فى وطنى أحن إلى تلك الغربة ولياليها ، وما ظلمنى موطنى وما أنكرنى ، وما كنت لأذمّه صادقا فكيف أذمه بما ليس فيه ، ولكنها هى الدَّعة ، مللتها واجتويتها : إنى أشكو ألم الراحة ، فأعطونى به راحة الألم ، ذلك الألم العبقرى الذى يفتح القلوب بآيات الشعر ، فانى منذ فقدته لم أعد أحسّ بأننى ذو قلب !

على الرستمية ... ألا تزال الرستمية جنة من جنان الأرض ، حافلة بالعاشقين وبالحور العين ، أم طاف بها طائف من هذه الحرب فجفت خمائلها وهجرها قاصدوها ؟ على الصالحية ... بروحى صالحية دمشق وصالحية بغداد . على (قهوة النطار) ، على ظبائها على جآذرها ألف سلام .

على الجسر ... ياجسر بغداد ، كم جمعت وفرقت ، ماذا رأيت وسمعت ، كم وصلت بين قلوب وقطعت ، أنت الصلة بين ماض لنا كان أعز من النجم وأسمى ، وآت لنا سيكون أسمى من النجم وأعز . ياجسر بغداد ، يا مربع الحب والأدب والمجد ، يا من كنت سرة الأرض ، وكنت لىَ مسرّة القلب ، عليك منى ألف سلام .

يا ربوعاً تركت فيها قطعاً من حياتى ، وخلفت فيها بقايا من فؤادى ، ماذا صنعت بفؤادى وحياتى يا ربوع ؟ !

• • •

ويادارنا فى (الأعظمية) من حلّ فيكِ بعدنا يا دار ؟ وهل صوّح لبُعدنا زهرك أم ضحكت من بعدنا الأزهار ؟ وهل حفظت آثارنا أم لقد طمست من بعدنا الآثار ؟ لقد كنت أنت مستقرّى ومثواى ، وكان إليك مفرّى من دنياى ؛ وكنت شاهدة أفراحى كلها وأتراحى ، وكنت مستودع أسرارى وأخبارى ، كتمتها عن الناس إلا عنك ، فهل كتمتْ سرّى هذه الجدران ؟ هل سترت ما رأت من نقائصى التى أخفيتها عن الأصدقاء والإخوان ؟

ما هذه الدنيا يا ناس ؟ هذه الدار التى كنت أفرّ إليها من رحب الحياة ، وزحمة المجتمع ، فأغلق بابها علىّ ، وأخلو فيها إلى نفسى ، فأحسّ أنها جزء منى ، وأنها لى وحدى ، صارت غريبة عنى ، تنكرنى وتجهلنى كأنى لست منها وليست منى وصارت لغيرى ، فإذا ما جئت أطرق بابها ، رددت عنها ، أو قبلت فيها ضيفاً غريباً لا أرى إلا ما يراه الضيف ، ولا ألبث إلا ما يلبث ... لا يا سكانها ؛ ما أنا بالضيف الغريب ، إنها كانت دارى ، إن لى فيها حقاً ، لى فيها ذكريات ؛ فيها من حياتى ، من أنفاسى ، من روحى !

***

أبحاثهم ، ذلك لأن أسس الفكرة العربية وفلسفتها ستأخذ مجهود عدد كبير من المفكرين والباحثين ، ولكن أثرها سيكون عميقاً فى مصر ، إذ ستعيد حتما للشعب المصرى إرادته وشخصيته وتلقنه تاريخه الحى . وسنرى كيف أن الكثير من مشاكلنا الخلقية والقومية والتى تبدو لنا مستعصية الحل ، سيسهل علينا مواجهتها على ضوء الأسس الاجتماعية التى تخاطب الوجدان والفكر ، وتحرّك القلوب والمشاعر .

إن الفلسفة التى تنير طريق الفرد منا إلى غايته ، وتجعل إيماننا بالفكرة العربية وحركتها السياسية وأهدافها إيماناً بصيراً مستنيراً ستقود الشعوب العربية من الظلمات إلى النور ، ومن الجمود إلى الحركة ، ومن الاستكانة إلى الرفعة ، وتعلم الفرد والجماعات معنى الآية الكريمة : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » . ولمثل هذا فليعمل العاملون !

أحمد رمزى

القنصل العام السابق بسوريا ولبنان

ودار العلوم ؟ خبرونى سألتكم بحق الاخاء عن ظلال أيامى فيها . سقى الله ظلالها صَوْبَ القلوب ! خبرونى، ألا رجل كريم، يحسن إلى هـذا البعيد النائى ، فيمر بالدار عند مسجد الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان ، فيصعد إلى الغرفة التى تطلّ من هنا على صحن المسجد المنوّر المبارك ، ومن هناك على صحن المدرسة الزهر المشرق ، فيحيى عنى هذه الغرفة ، فإنى سكنتها عاماً ، كان لى عام دنيا ودين ، وفيها جددت طباعى وأفكارى وكونت نفسى .

ثم ليجل عنى فى هذه المدرسة فى حدائقها ، فى صحونها ، فى ممراتها ودهاليزها ، ثم ليصعد سطوحها الواسعة التى تمتد حتى تتصل بقبة المسجد ، وتشرف على تلك الحديقة العتيقة ، وتلك المقبرة المهجورة ، وعلى طريق الكاظمية ، فإن لى على هـذا السطح ذكريات ... وإننى إن أنس لا أنس يوم العيد ، وقد خلت المدرسة من ساكنيها ، فلم يبق فيها غيرى ، فأوغلت فى هذه السطوح ، وصعدت حتى انتهيت إلى أصل القبة ، ونظرت فإذا أنا على بحر من النخيل ، تهتز قممه من تحتى كأنها الأمواج فى اللجة الساكنة ، وتظهر فى فُرَج النخيل طرق الفلاحين ، وقد خرجوا مع أطفالهم وأولادهم بثياب لها مثل لون الزهر ، ثم تختفى خلال الأشجار ، كشاعر سادر أو محب متغزل ، ذهب يناجى ذكريات الوصال ، ودجلة عنـد منعطف الصليخ تلوح بعظمتها وجلالها ، كأنها سماء من نور ركبت فى الأرض ؛ وبغداد ، بلد الأساطير والأحلام ؛ يبدو طيفها على حاشية الأفق البعيد بقبابها ومآذنها ، كأنه (هو أيضاً) أسطورة ساحرة ، يقصها الأفق الشرق على الدنيا ، وإلى اليمين قباب الذهب من الكاظمية ، والقبة الخضراء التى ثوى تحتها رمس مُلك شابّ ، وشباب مليك ، حين ثوى غازى بن فيصل بن الحسين بن علىّ !

لقد لبثت مكانى حتى شملت الظلمة الكون ، وضوّأت المصابيح فى شبابيك المنازل فنظرت ... إليها ، أنا الغريب المنفرد ، الذى يمضى عيده وحيداً على سطح المسجد ، لا رفيق له إلا ذكريات سعادة ولت تؤلمه وتحز فى قلبه ذكراها ، وحبّ مات وليداً ، وفكرت فى أمرى لو اصابنى مرض فلبثت هنا شهراً ، فمن ذا يصل إلى ؟ من يسأل عنى ؟ وأى فؤاد يخفق من أجلى بعد أن سكت ذلك الفؤاد الذى كان خفاقاً بحبى ، فؤاد أمى ، إلى الأبد ؟

فنظرت إليها فغبطت أهلها إذ يغلقون أبوابهم على الشمل الجميع ، والأهل الحضور ، والأنس والسعادة .

ونزلت فى طريق الحديقـة العتيقة ، وإذا أنا أتعثر بحجر . فنظرت إليه على شعاع ينحدر إليه من مصباح الشارع ، فإذا هو قبر متخلف من المقبرة التى كانت هناك فى غابر الأزمان ، فامتلأت نفسى بصورة الموت ، ولم أعد ألمس فى هذه الغصون المخضرة إلا الربيع الماضى الذى مات ، ولا أرى من الناس إلا قلوباً ميتة دفنت فى صدور أصحابها ؛ ولا أجد تراب الأرض إلا ناساً كانوا مثلنا وماتوا ... فأكلت هذه الأشجار أجسامهم ، وشربت دماءهم ، فمنه كان زهرها الذى نشم عطره ، وغصنها الذى نأكل ثمره ... ولم أر الدنيا إلا موتاً فى موت .

وأممت غرفتى وأنا غارق فى بحر من الأفكار السود ، فسمعت العشاء يرنّ فى صفاء الليل قوياً عذباً يومض ضياؤه فى طيات الظلام ، إذ يحمل اسم الله منيراً مشرقاً ، فقمت إلى الصلاة ، فلما قضيت وخرج الناس ، رأيت المؤذن ينادى على عادته بذلك الصوت المدود : الفاتحة ! ثم يغلق المسجد وينصرف ، وأبقى وحدى ، ليس فى المسجد ولا فى المدرسة غيرى ، وبينهما باب من داخل ، فأعود إلى غرفتى ...

وما كاد يكتهل الليل ، حتى سمعت الصوت فى المسجد كرة أخرى ، ولـكنه خرج هذه المرة ضعيفاً وانياً ، فى نغم حزين ، من لحن الصبا ، فنظرت من شباكى ، فإذا فى أرض المسجد الذى اشتمل عليه الظلام ثلاثة مصابيح بترولية خافتة النور ، تكشف عن نفر من الناس ، لا يبدو منهم إلا أرجلهم وظلال لهم ممتدة فكأنهم الجنّ ، أو كأنه فلم مخيف من أفلام ألف ليلة ... ثم سمعت تكبيرات الجنازة ، فنزلت فرأيتهم يصلون على ميت فى نعش .

فسألت : من هذا ؟ قالوا : مؤذن المسجد !

فانصرفت لأدوّن فى دفترى ماعرض لى ذلك اليوم من صور وخواطر ، ثم أضعت الدفتر ونسيت الخواطر والصور ... وأن فى الدنيا موتاً ...

كذلك أمضيت يوم العيد فى دار العلوم ، وإنى على هذا أشتاقها وأشتهى أن ترجع لى أيامى التى مرت فيها . فيارحمة الله على أيامى فى دار العلوم وعلى من بقى من أهلها السلام !

وإن أنس لا أنس (ليلة البلاط) ، ياليت ليلة البلاط تعود !

لقد رجعت أنا وأنور المشية من الأعظمية إلى بغداد ، فتركنا السيارات وجفونا الطريق الأعظم ، وسلكنا محجّة على سيف دجلة فسرنا فيها ، وكانت تنكشف لنا تارة فنسلكها ، وتضل (طريقها ...) تارات ، فتتيه بين النخيل ، وكان النهر أبداً عن أيماننا ، يبدو حيناً بصفحته البيضاء المشرقة التى تشبه وعد الوصال ، يشرق للمحبّ فى ليل الهجران ، والأمل البسام يلوح لليائس فى غمرة القنوط ، ثم يحجبه عنا النخيل ويستره الظلام ، كما يخلف المحبوب بدلاله الوعد ، وتمحو الحياة بواقعها الأحلام ، وتطمس صور الأمانى . وكان أنور يحدثنى حديث ماضيه فيثير فى نفسى عالماً من الذكر الأليمة ، كلما نزلت به فى أعماق قلبى ، ودفنته فى هوة النسيان ، وحسبته مات . انبعث فجأة ، كأنما ولد الساعة ، عالم فيه صور أبى وأمى وآمالى وحبى ، واستغرقنا فى خواطرنا ، وغبنا عن حاضرنا ، فما نبهنا إلا جندى بحربته المسددة إلى بطوننا وبندقيته الموجهة إلينا ، وصاح بنا ؛ أن ارفعا أيديكما ؛ ففعلنا .

قال : ما أدخلكما حمى (بلاط الملك) ، وفيم أنذركما فلا تقفان ؟ لقد هممت أن أرميكما بالنار ! وكانت تلك هى الأوامر ، ما بعد الانذار إلا النار ، فقلنا : نحن أديبان ، أرأيت أديباً نفع معه إنذار ، أو أفاد معه تخويف ، ثم إننا برمنا بالحياة ، لا نرى فيها إلا ماضياً لا سبيل إلى إرجاعه ، وأملا لا وصول إليه ، ولو أنت رميتنا لمننت علينا بميتة سهلة ، نرجو من بعدها ثواب الشهداء ، وإن الموت يا عسكرى درجات ، وألوان بعضها أطيب من بعض ، وما نظنك سمعت بدعاء الأعرابى الذى سأل الله ميتة كميتة أبى خارجة ، لأن هذه الجفوة منك دلتنا على أنك لا تقرأ كتب الأدب . أفتحب أن تعرف كيف مات أبو خارجة حتى صار موته أمنيّة ؟

أكل حنيذاً ، وشرب نبيذاً ، ونام فى الشمس ، فمات شبعان دفآن ريّان !

قال الجندى ، ولم يفهم منا شيئاً :

— يشنو إنتو يابه ؟

قلنا : نحن معلمون !

فضحك وأرخى سنان بندقيته ، وقال : معلمون صحيح ، أما غير مخبّلين ، (وغير هنا للتأكيد ومخبلين ، أى مجانين) ! وتركنا نمضى لأن المجنون لا يسأل ...

تلك هى ليلة البلاط ، وإنى لا أذكرها إلا أسفت على هذه الميتة الحلوة التى فاتتنى ، وخشيت ألا أتمكن من مثلها ، وأظن أنور آسفاً مثلى ، إلا إذا استطاب حياته بعد الزواج وتعليم البنات الأدب ... أما حياتى أنا فليس فيها لذة تستطاب ، وليس فيها ألم يستكره . أعنى أننى لست إنساناً يحيا ولكن (شيئاً) يعيش !

* * *

مالى كلّ هذه الليلة ذهنى ، ولم يسعفنى شيطانى ؟ مالى أكتب عن بغداد ، فلا أذكر من أيامها إلا هذا الحديث التافه ، وأيام بغداد ، مواسم للمجد وأعياد ، ولياليها فرحة الفؤاد ، وأسرّة للحب ومهاد ، وماضيها مآثر ومفاخر وأمجاد ؟

مالى لا أتحدث عن دجلة ، وياطول شوقى إليها ، وإلى زوارق المحبين وهى تمضى فيها حالمة سكرى ، والأغانى تتراقص على أمواجها ضاحكة مرحى ، والسمك المسقوف . خبرونى ، ألا تزال مرفوعة سقوفه . مشتعلة ناره ، أم هوت من هول الحرب الدعائم وانطفأت النار ؟

مالى لا أناجى إخوانى وتلاميذى الذين عشت دهراً من عمرى بهم ولهم ، وأسألهم أيذكروننى هذا المعلم ... أم قد مرّ فى حياتهم مرور شخص (السينما) ثم تنقضى الرواية ، ويسدل الستار ، فكأنما لا شخص مرّ بهم ، ولا (فِلْم) عرض عليهم ؟

أما أنا فاشهدوا يا تلاميذى ويا إخوانى أنى ما نسيتكم . أأنسى نجدة وعلياً ونزارَ بن البطل الشهيد ، إلا إذا نسى الأب أولاده ؟ أأنسى الأخ الأكبر (بهجة) العراق ، وقد طالما قبست الجزْل من فضله ، ورأيت الفذّ من نبله ؟ ما نسيت ، ولئن كبا بى القلم الليلة ، فسأعود إلى الحديث عن بغداد ، وما كل مرة يكبو الجواد .

وعلى إخوانى وتلاميذى وبغداد وأهلها سلام الله ورحمته وبركاته .

علي الطنطاوى

المدرس (سابقاً) فى ثانويات بغداد والبصرة وكركوك

بمناسبة عيد الجهاد الوطني :

مراكش حية . . . !

للأستاذ عبد الكريم غلاب

في يوم ١١ يناير احتفلت مراكش بعيد جهادها الوطني ، وهو يوم يقف فيه المراكشيون خاشعين أمام قبور شهدائهم الذين صرعتهم بنادق السينغاليين ومدافع الفرنسيين . يقفون خاشعين ليتذكروا تلك الأيام السود التي حوصر فيها المراكشيون من كل صوب ، وسلط عليهم جحيم المادة ، فلم يفقدهم صوابهم ، ولم يثنهم عن عزمهم في استرجاع استقلالهم من الذين استلبوه منهم بالقوة ، فعبثوا به واستهانوا بقدسيته . ففي مثل هذا اليوم من سنة ١٩٤٤ أعلنت الأمة المراكشية مطالبتها باستقلالها ، وقدمت لذلك مذكرة طالبت فيها بإلغاء الحماية الفرنسية على مراكش ، وبإفساح المجال أمام الشعب ليسلك سبيله في الحياة الديمقراطية الحرة ، وليتمكن من الانضمام إلى إخوانه العرب في الشرق .

ولقد كان لتقديم هـذه المذكرة إلى جلالة ملك مراكش والحكومة الفرنسية وسلطات الحلفاء ، ولما صاحبه من مظاهر العزم — التي بدت من الشعب — على تحقيق هذه المطالب ؛ كان لكل ذلك أثره العميق في الدوائر الفرنسية ، فقررت أن تقمع هذه الحركة بكل ما بقي لها من قوة ، وبكل ما يملك أبناؤها من عزيمة صارمة في الدفاع عما يسمونه امبراطوريتهم . وتقابلت القوة مع الإيمان الأعزل ، وكان من ذلك تلك المأساة المروعة التي يندى لها الضمير الإنساني الحي ، والتي برع الفرنسيون في تمثيلها مع العرب سواء في الشرق أو الغرب .

ولكن المراكشيين لم ترعهم هذه المأساة ، فقد ألفوا ذلك منذ وطئت أقدام الفرنسيين أرضهم المقدسة في سنة ١٩١٢ . فالمأساة الأخيرة ليست إلا فصلا من رواية الجهاد الوطني المراكشي الذي ابتدأ منذ ثلث قرن ، والذي سينتهي لا محالة بفوز المراكشيين ، لأنهم أصحاب حق ، ولأنهم أهل لأن ينالوا هذا الحق . لقد دافع المراكشيون عن بلادهم يوم فرضت عليهم معاهدة الحماية ، وواصلوا جهادهم في الجبال والغابات الجنوبية ، ثم قام الأمير عبد الكريم الريفي يسترد أرض أجداده من الأسبانيين والفرنسيين ، وما كاد يضع سلاحه حتى قام الجهاد السلمي ممثلا في الأحزاب والهيئات الوطنية التي انتهى بها المطاف — رغم ما أصيبت به من نكبات — إلى أن تعلن مطالبة الأمة المراكشية باستقلالها في ١١ يناير من سنة ١٩٤٤

هذا هو جهاد مراكش الذي يعد صراعاً بين الموت والحياة ، وهو إن دلنا على شيء ، فإنما يدلنا على أن هذه الأمة الكريمة لن تموت ، لأن عناصر الحياة كلها تتدفق في دمها ، وهي كفيلة بأن تحفظ هذه الأمة من الانهيار .

وأول عنصر من عناصر الحيـاة في مراكش هو تاريخها الطويل في الاستقلال والحرية ، وقد تسلسلت حلقات هذا التاريخ منذ عرفت الحياة على الأرض المراكشية ، فلم يحكم مراكش غير أبنائها الذين دافعوا عن أرضهم طوال عصور التاريخ إلى أن تآمرت عليهم الدول الأوربية في أوائل القرن العشرين ، وكان نتيجة لذلك الاتفاق الإنجليزي المصري سنة ١٩٠٤ الذي بمقتضاه أطلقت انجلترا يد فرنسا في مراكش ، كما أطلقت فرنسا يد انجلترا في مصر . وقد أتاحت هذه المؤامرة الفرنسية الإنجليزية لفرنسا أن تفرض حمايتها بالقوة على مراكش ، فخرت هذه الأمة صريعة أمام قوة الفرنسيين وغدرهم وخيانتهم . وبذلك وضع حد لتاريخ الاستقلال في مراكش .

والعنصر الثاني من عناصر الحيوية المراكشية هو العنصر الخلقي ، فقد ورث هذا الشعب عن أجداده البربر والعرب الأنفة والكبرياء والدفاع عن النفس والصبر والتضحية والاستهانة بالحياة في سبيل كرامته ؛ وتلك صفات — ولا شك — تجعل هذا الشعب من أكثر الشعوب استعداداً للدفاع عن أرضه ونفسه ، بل تجعله من أكثر الشعوب شعوراً بالكرامة وتمسكاً بالاستقلال . وقد أدرك هذا أولئك الذين وضعوا أسس الحماية الفرنسية — وفي مقدمتهم المرشال ليوطي — فحذروا فرنسا من الاستهانة بهذا العنصر الحيوي في مراكش .

والعنصر الثالث هو الدين ، فالمراكشيون من أشد الأمم تمسكا بالدين الإسلامي ، وهم يدركون إلى حد كبير معنى التدخل

الأجنبي فى الشؤون المراكشية ، ويفسره ابن الشعب فى مراكش بأنه تدخل ينافى عقيدته ودينه ، وهو من أجل ذلك يعمل على أن يكون صحيح الإيمان سليم العقيدة . وذلك ولا شك عنصر من عناصر الحيوية فى مراكش .

وعنصر آخر لا يقل عن العناصر السابقة قيمة ، وهو عنصر اللغة . فمراكش تستعمل لغة واحدة هى العربية ، وهى بذلك تتصل بماضيها العتيد ، فتستمد منه الوحى والإيمان وتتصل ببقية الشعوب العربية فى الشرق التى تكافح وتجاهد فى سبيل استكمال استقلالها ، وذلك من شأنه أن يجمل شعور هذه الأمم كلها واحداً نحو قضاياها الاستقلالية ، ويجعلها تسلك سبيلا واحداً نحو الهدف الأسمى . ولعل تاريخ الحركات الاستقلالية فى البلاد العربية كلها يدلنا على قيمة هذا العنصر ومظهره . فاللغة العربية — إذن — هى السبيل الوحيد لاتصال مراكش بالشعوب العربية فى الشرق اتصالا روحياً ومادياً .

ولسنا نعدو الحقيقة إذا قلنا : إن من أكثر الأشياء حيوية فى الشعب المراكشى هو العرش . فالعرش العلوى فى مراكش عتيد فى التاريخ ، لأنه ناهز ثلاثة قرون كاملة . ومن أجل ذلك اتصل العرش بالشعب والشعب بالعرش ، وأصبحا يعملان معاً لخير البلاد المراكشية ومصلحتها . وهكذا نجد الشعب يتعلق بملكه المحبوب وخاصة فى أوقات الفزع ، فينجده جلالة الملك ويرفع عنه عدوان المعتدين

تلك هى عناصر الحياة فى مراكش ، وتلك هى الدعامات الأساسية التى تعتمد عليها فى دفاعها عن استقلالها ، وقد عرف الفرنسيون خطر هذه العناصر ، فأرادوا هدمها حتى يتمكنوا من إدخال هذا الشعب تحت امبراطوريتهم . وعرف المراكشيون بدورهم نية الفرنسيين فقاوموها بكل ما يملكون من قوة . وذلك هو جوهر الصراع بين المراكشيين والفرنسيين منذ سنة ١٩١٢ . أراد الفرنسيون أن يفصلوا مراكش عن تاريخها ويهدموا خلقها ، ويحولوا بينها وبين دينها ، ويفرنسوا لغتها ، ويقطعوا ما بينها وبين الشرق العربى من صلة ، ثم أرادوا أن يفصلوا بين الشعب والعرش .

ولكن المراكشيين تشبثوا بتاريخهم وخلقهم ، ثم دافعوا عن دينهم ضد (الظهير البربرى) المشئوم سنة ١٩٣٠ ، وقاوموا برامج التعليم الفرنسية التى طبقت فى مراكش حتى يحتفظوا باللغة العربية كلغة رئيسية فى المدارس المراكشية ، ثم هم يعملون على أن ينضموا إلى الجامعة العربية ، حتى يضمنوا بذلك اتصالهم بإخوانهم العرب فى الشرق . أما صلتهم بالعرش وإخلاصهم له ، فلا تزداد إلا توطداً ونمواً .

تلك خلاصة الصراع فى مراكش طيلة ثلث قرن . وقد نجح المراكشيون فى الاحتفاظ بعناصر الحياة فيهم ، وهم إذ يطالبون اليوم باستقلالهم ، فإنما يريدون أن يبنوه على أساس متين من التاريخ واللغة والدين والخلق . وذلك ما يجعلنا نؤمن بأن مراكش ستصل ... وأنها حية تسير — رغم ما ينتابها من نكبات — نحو الحياة الحرة الكريمة .

عبد الكريم غلاب

من محاسن التشريع الاسلامي

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

— ١٢ —

الدعوة إلى الخير

إن من أعظم مزايا الشريعة الإسلامية ، وأبرز محاسنها — إرشادها إلى أعظم وسيلة لإصلاح المجتمع ، وتنقيته من أدران الشر والفساد ، وخير أداة لإصلاح الأفراد والجماعات ، وتحقيق التضافر والتعاون الاجتماعي — تلك هي الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من فروض الكفاية ، إذا قام به بعض الأمة سقط عن الباقين ، وإذا لم يقم به أحد أثموا جميعاً ووقعوا في حوب كبير ، ولم يكن فرض عين فلم يجب عليهم أجمعين لما ينبيء عنه قوله عز وجل : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » ، ولأنه من عظائم الأمور وعزائمها التي لا يضطلع بها ولا يتولاها إلا من هو أهل لها — والأهلية تتحقق بشروط : منها العلم بالأحكام ، ومراتب الاحتساب ، وطرق إقامة هذا الواجب ، ومعرفة الأحوال المختلفة وما يناسب كل حالة ، فإن من لا يعلم ذلك قد يأمر بمنكر ، وينهى عن معروف ، ويغلظ في مقام اللين ، ويلين في موضع الغلظة ، وينكر على من لا يزيده الإنكار إلا تمادياً وإصراراً — كما يشترط في الوجوب التمكن من القيام به ، غير أن الأمر بالمعروف يكون واجباً ومندوباً — على حسب المأمور به — أما النهي عن المنكر فهو واجب في كل حال لأن جميع ما أنكره الشرع حرام .

وإنما وجب ذلك لأن صلاح الأمة في أمر دينها ودنياها ، ونفي الفساد عن الأرض ، وتقليل الشرور والآثام — لا يكون إلا بأداء هذا الواجب ، فإن الظالمين والمفسدين ومرتكبي الآثام إذا تركوا وشأنهم — من غير نكير — استشرى داؤهم وتفاقم شرهم ، وكثر سوادهم ، فتقع الأمة في بلاء عظيم وسوء لا مرد له ، وتبوء بسخط من الله وعذاب ، وذلك هو الخسران المبين .

والأصل في ذلك ما ورد في الكتاب والسنة من تلك النصوص التي جمعت بين القوة والكثرة في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — قال الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .

ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — من أعظم الواجبات وأبعدها أثراً في إصلاح المجتمع - مدح الله به المؤمنات كما مدح به المؤمنين ، وجعله من صفات الرجال والنساء معاً ، وقرنه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وبطاعة الله ورسوله ، فقال : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله » .

وجعل الله — جلت حكمته — قيام الأمة بهذا الواجب دليلا على تمكن الخير من نفسها ، ورسوخ خلق الإصلاح فيها فقال : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، بل أنبأنا — جل شأنه — أن من أسباب استحقاق بعض الأمم اللعنة أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه : « لعن الله الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » . وسئل عليه صلوات الله وسلامه عن خير الناس ، فقال : آمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأتقاهم لله ، وأوصلهم للرحم » ، بل روى عنه أنه جعل الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر خليفة الله ورسوله في الأرض ، فقال : من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه ، وخليفة رسوله ، وخليفة كتابه » .

وقد ورد في الحديث ما يدل على أن سنة الله في الأمة التي فرطت في هذا الواجب — أن يسومها سوء العذاب ، وألا يتقبل دعاء خيارها إذا سكتوا عن منكراتها ، فقد روى عنه — صلوات الله وسلامه عليه : « لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم[1] » . وقال علي رضي الله عنه : أفضل الجهاد الأمر بالمعروف

(١) روى هذا الحديث بعبارات مختلفة لفظا ، ولكنها متحدة أو متقاربة معنى .

توماس هـــــوبز

لالفرد فيبر

للأستاذ عبد الكريم الناصري

كان توماس هوبز (١٥٨٨ — ١٦٧٩) المولود فى مالسبرى ، من أعمال ولتشاير ، صديقاً مخلصاً لآل ستيوارت ، وكان ذا حظوة عندهم ، بفضل نفوذ تلميذه اللود كافندس .

وقد غاب فيلسوفنا عن وطنه ثلاثة عشر عاما ، فلما عاد إليه انقطع للبحث والتأليف[1] .

غطت شهرة هوبز كمؤلف سياسى وأخلاق — إلى حدما — على شهرته كأنطلوجى ونفسانى ؛ وبغير الحق ، فانه السابق Forerunner إلى المادية ، والنقد ، والوضعية الحديثة .

(٢) جمع مؤلفاته اللاتينية والانجليزية ، ونشرها مولسورث Molesworth في ١٦ مجلدا — لندن (١٨٣٩ — ١٨٤٥) .

والنهى عن المنكر ، ومن شنئ الفاسقين وغضب الله — غضب الله له[1] » .

ولتقصيرنا فى أداء هذا الواجب — ظهر فينا الفساد الذى جنى على كثير من آدابنا الاجتماعية ، وعاداتنا المرضية ، وأخلاقنا الإسلامية ، فمتى نثوب إلى رشدنا ، وننفذ أحكام شريعتنا ؟ ! ! ومتى ينجم فينا رجال أشداء على الباطل والظلم ليحيوا ما اندثر من السنن القويم ، ويجددوا ما رث من حبل الدين المتين ؟!! ، اللهم جدد عزائمنا ، وابعث فينا مشبوب الهمم لإحياء مجد الإسلام ووصاياه وأحكامه ، وهيئ لنا من أمرنا رشدا[2]

حسن أحمد الخطيب

(١) تفسير أبى السعود والبيضاوى ، وشنئه : أبغضه .

(٢) جاء فى المقال السابق المنشور بالعدد ٦٠٤ من الرسالة ص٤٧ ، ٤٨ بعض الأخطاء المطبعية نصححها فيا يلى :

(ا) وعند الشافعى أقلها وهو دينار — صوابها : وعند الشافعى أقلها محدود وهو دينار .

(ب) على مخالفيه من الذمة والكتاب — صوابها : على مخالفيه من أهل الذمة والكتاب .

يحد هوبز الفلسفة بأنها الاستدلال على المعلولات من العلل ، وعلى العلل من المعلولات[1] .

والتفلسف هو التفكير الصحيح ؛ ولكن التفكير معناه « أن تركب وتحل التصورات Concepts ، أن تجمع أو تطرح ، أن تحسب وتعد . فالتفكير الصحيح إذن هو تأليف ما يجب أن يؤلف ، وتفريق ما يجب أن يفرق . ويلزم عن هذا أن الفلسفة ليس لها من موضوع سوى الأشياء القابلة للتركيب والتجزئة ، وهى « الأجسام »[2] . أما الملائكة ، والأشباح والأرواح المحض والله ، فليست بموضوعات للفكر والعلم ، ولا شأن للفلسفة بها ، وإنما هى موضوعات للدين والإيمان ، ومردها إلى اللاهوت . وبحسب انقسام الأجسام إلى أجسام طبيعية وصناعية ، وأجسام أخلاقية وسياسية ، تنقسم الفلسفة إلى : فلسفة طبيعية (المنطق ، والأنطلوجيا ، والرياضيات ، والفيزياء) وفلسفة سياسية (الأخلاق والسياسة) . والفيزياء والفلسفة الأخلاقية كلتاهما علم تجريبى ، موضوعه الأجسام ، وآلته الحس — الحس الظاهر للأول ، والحس الباطن للثانى . وليس وراء علم الملاحظة observation من معرفة حقيقية[3] .

إن هذه المقدمات تسلم هوبز إلى نظرية فى الإدراك مادية من كل جهة . فالإدراك الباطن ، الذى هو أساس حياتنا الفكرية وشرطها الأول ، ليس إلا شعورنا أو إحساسنا بفعل الدماغ . فأن تفكر think هو أن تحس feel . والمعرفة تتكون من إضافة الأحاسيس . والإحساس ، بعد ، ليس إلا حركة تحصل فى الجسم . ثم إن الذاكرة ، التى تلازم الفكر ، ليست شيئا أكثر من ديمومة الإحساس ؛ فتذكرك الشىء هو إحساسك بما سبق أن أحسست به[4] . وليس من الممكن أن تعلل الإحساسات ، على طريقة بعض القدماء ، بأنها فيوض صادرة من الأجسام ومشابهة لها . إن أشباح الأجسام هذه ، أو — على حد تعبير المدرسيين — « أنواعها المحسوسة والمعقولة » ، لا تقل

(١) De Corpore, P .2

(٢) Id, P. 6

(٣) De Corpore

(٤) يسمى هوبز الذاكرة بالخيال أو التخيل أيضا (المعرب)

بطلانا عن « الكيفيات المستورة » وأشباهها من فرضيات القرون الوسطى . وإنما الواجب أن نقول : إن الحركة البسيطة التي تثيرها الموضوعات الخارجية في المادة المحيطة بها تنتقل إلى الدماغ بواسطة الأعصاب .

وهوبز يقرر هنا حقيقة خطيرة ، عرفها من قبل ديمقريطس ، وبروتاغوراس وأرستيپس ؛ وهى أن الإدراك الحسى ذاتى بالكلية فإن ما ندركه — كالضوء مثلا — ليس بموضوع خارجى ألبتة ، وإنما هو حركة أو تكيف يحدث فى المادة المخية . وليس أدل على ذلك من أننا نبصر ضوءاً إذا لُطمت العين ، إذ ليس هذا الإحساس إلا نتيجة التهيج الحاصل فى العصب البصرى . وما يصدق على الضوء بوجه عام يصدق على تميناته المختلفة التى هى الألوان . فالحواس إذن تخدعنا حين تلقى فى روعنا أن الصوت والضوء والألوان تقوم خارج النفس . إن موضوعية الظواهر وهم خادع ، وليست صفات الأشياء غير أعراض لاحقة بكياننا ، وما من شيء موضوعى سوى الحركة التى تثير فينا هذه الأعراض ، وهى حركة الأجسام الخارجية [1] ... إن فيلسوفنا ليستدل كما استدل بعده « بركلى » ؛ بيد أن الأخير يسير بحجته إلى النهاية فإنه بعد أن يبدأ بمقدمات أهل الحس ، ينتهى إلى إنكار وجود الأجسام ، وإلى القول بالمثالية الذاتية . أما هوبز فيقف فى منتصف الطريق ، لأن شيئية reality المادة عنده عقيدة لا تقبل الشك .

أما النفس soul أو الروح spirit فإنه يحدها أحيانا بأنها فعل الدماغ ، وأحيانا بأنها مادة أو جوهر عصبى ؛ ويقول فى ذلك : إنى أقصد بالروح جسما فيزياوياً بلطف عن إدراك الحواس . أما الروح « اللاجسمانية » فحديث خرافة . والتوراة نفسها لاتذكر موجوداً من هذا القبيل . إن الإنسان لايختلف otipper عن الحيوان إلا بالدرجة ، إذ كلاهما كائن جسمانى . وإذا كان لنا من مزية advantage حقيقية على العجماوات ، فتلك هى النطق . إنا ، كهذه الأحياء الدنيا ، لاخيار لنا فيا نفعل ، وإنما تسيرنا شهوات لا تقاوم ؛ وليس للعقل بغير انفعال ، ولا للمبادىء الأخلاقية بغير جاذب مادى ، أدنى تأثير فى إرادة الإنسان ؛ وإنما هى مدفوعة بالخيال وما يتوقعه ، وبالعواطف والانفعالات : بالحب والبغض والخوف والرجاء .

نعم : « إن الفعل الإرادى هو الذى يصدر عن الإرادة » ؛ ولكن الإرادة نفسها ليست « إرادية » — إنا لا سلطان لنا

(١) السطور التالية مترجمة (باختصار) عن الفصل الأول من الباب الأول من كتاب هوبز الموسوم (بالتنين) : —

« كل فكرة من فكرنا فانما هى (تمثل) أو (بدو ، لعرض من « أعراض » جسم أو موضوع خارجى فهذا الموضوع يؤثر فى حواسنا ، ومن تنوع تأثيره تنشأ أنواع التمثلات . فالاحساس إذن هو أصل جميع فكرنا وتصوراتنا .

« وعلة الاحساس هى الجسم الخارجى ، أو الموضوع ، الذى يؤثر فى عضو الحس ، إما بلا واسطة ، كالحال فى الذوق واللمس ، وإما بواسطة ، كالحال فى البصر والسمع والشم ؛ ثم إن هذا التأثير ، أو الضغط ، ينتقل بواسطة الأعصاب والأوتار والأغشية إلى الدماغ والقلب ، ويحدث فيهما مقاومة ، أوضغطاً مضاداً ، أو مجهودا ؛ وبما أن هذا المجهود موجه « نحو الخارج » . فانه يبدو كأنه مادة قائمة فى الخارج وهذا « البداء » ، أو « التوهم » هو ما يدعوه الناس إحساسا ؛ وهو بالاضافة إلى العين ضوء أو لون ، وبالاضافة إلى الأذن صوت ، وبالاضافة إلى الأنف رائحة ، وبالاضافة إلى اللسان طعم ، وبالاضافة إلى سائر البدن حرارة أو برودة أو صلابة أو ليونة ؛ وسائر الكيفيات التى تسمى شعورا أو إحساسا . وعلى ذلك فليست هذه الكيفيات والأعراض في الموضوع نفسه ، وإنما هي حركات فى مادته ، وهو يؤثر بهذه الحركات فى آلاتنا (أعضائنا) الحسية ، على أنحاء شتى . بيد أن مايحدث فينا ، إنما هو ، فى الحقيقة ، جملة حركات =

= إذ ليس تنتج الحركة إلا حركة وإنما تبدولنا هذه الحركات ضوءاً أو صوتاً ، على جهة التوهم فقط . وكما أننا نرى ضوءاً إذا فركت العين أو لطمت ، ونسمع دوياً إذا سدت الأذن ، فكذلك تثير الأجسام الخارجية فينا أمثال تلك الكيفيات بفعل تأثيرها الشديد ولكن غير الملحوظ . ولو كانت الأصوات والألوان فى الموضوعات نفسها ، لما أمكن فصلها عن الموضوعات ، مع أن هذا ممكن ، كما هو مشاهد فى انعكاس الضوء أو الصوت (الصدى) ، إذ يكون الموضوع فى موضع ، وظهوره فى موضع آخر . وعلى ذلك فليس الحس ، فى جميع الحالات ، إلا توهما أصليا ، علته حركة الأشياء الخارجية ، وضغطها على عيوننا وآذاننا وآلاتنا الحسية الأخرى » بيد أن مدارس الفلسفة ، فى جميع ديار النصرانية ، تقول بمقالة أخري ، مصدرها بعض نصوص من أرسطو ، فتقول فى علة الرؤية إن الشيء المرئى يرسل إلى كل جانب « نوعا مرئيا » ، وقبول العين له هو « الرؤية » وتقول فى علة السمع ، إن الشيء المسموع يرسل « نوعا مسموعا » ، يدخل الأذن فيحصل السمع بل تقول في علة « الفهم » إن الشيء المفهوم أو المعقول يبث « نوعا معقولا » ، فاذا ولج العقل حصل الفهم لدينا . وهذا كله كلام لا معنى له ولا محصل فيه » . المعرب

ماثيـــو أرنولد

Mathew Arnold

للأستاذ خيري حماد

— ٥ —

آراؤه السياسية:

كان أرنولد محافظا معتدلا ، ورغما عن أنه لم يرشح يوماً ما لعضوية البرلمان إلا أنه كان شديد الميل للسياسة . وقد ظهرت هذه الرغبة جلية فى السنين الأخيرة من حياته ؛ فلما نزع يده من الأمور الدينية اشتغل ببحث المسائل والمشاكل السياسية بحثا استنفد قسما كبيراً من اهتمامه ووقته . وكانت له من تجاربه فى وظيفته الحكومية حنكة سياسية يندر أن توجد فى أمثاله . ناهيك عن قدرته على استطلاع خفايا المشاكل العويصة وطريقة حلها بأسلوب منطقى محكم ، لاسيما وقد امتزج بسائر طبقات الشعب فعرف عنهم جميع صفاتهم وأخلاقهم .

ولكن أولى مهامه السياسية باءت بالفشل الذريع ، فقد عارض بكل قواه قانون الدفن . ولكن جهوده السياسية كانت خائبة فطبق هذا القانون مدة طويلة من الزمن ، وكان يرهب نتائج الحكم اللامركزى ويعارضه بكل قواه ، فجاهد فى سبيل القضاء عليه جهود الجبابرة ، ولكنه لسوء حظه فشل للمرة الثانية وباء بالخسران . ولتبرير سقوطه كتب قائلا : « لست أدعى السياسة ، ولكنى شخص عادى أبصر بهذه الحالة التى تسود البلاد . ولم يعتمد على أنصار وأحزاب منظمة ؛ بل جاهد بمفرده ليسعى فى إنالة بلاده قسطاً أوفر من المدنية[1] » .

وفى مقدمة مقالاته الإرلندية نراه يكتب : « إن دهاة القوم وكبار الساسة ليعارضون فضول رجل أديب مثلى . ولكنهم فى الحقيقة لم يعارضوه إلا عند مخالفته لآرائهم السياسية . وفى الجدال السياسى الذى حدث سنة ١٨٨٦ ، نرى كلا الطرفين من أنصار

(١) Poul Grnald, P. 153

عليها ، ولا يدلنا فيها . لكل فعل سببه الكافى . والقائلون بالاختيار يذهبون إلى أن الفعل الارادى أو الحر هو الفعل الذى وإن كان للقيام به سبب كاف ، فإنه — أى الفعل — ليس ضروريا . وتهافت هذا التعريف ظاهر لاخفاء به . فإنه إذا لم يقع حدث أو فعل ما ، فلأن سبباً كافيا لوقوعه لا يوجد . إن السبب الكافى يرادف الضرورة . والإنسان ، كسائر المخلوقات ، خاضع لقانون الضرورة ، للقدر ، أو — إن شئت — لإرادة الله ؛ والخير والشر ، بعد ، معنيان نسبيان ، فالأول يرادف الموافق أو المرضى ، والثانى يرادف المكروه أو الغير الموافق . و « المصلحة » هى الحكم الفصل فى الأخلاق وفى كل شىء . أما الخير المطلق ، والشر المطلق ، والعدالة المطلقة ، والفضيلة المطلقة ، فأوهام ابتكرها العقل اللاهوتى ، وما بعد الطبيعة ...

إن فلسفة « هوبز » السياسية تتفق مع هذه المقدمات الأنطلوجية . فالحرية ممتنعة عنده فى ميدان السياسة ، كما هى ممتنعة فى ميدان الأخلاق ، وميدان ما بعد الطبيعة . وإنما الحق للقوة ، فى الدولة وفى حال الطبيعة على السواء . وحالة البشر الطبيعية عبارة عن « حرب الجميع (ضد) الجميع » . والدولة هى الوسيلة التى لا بد منها لوقف هذا الصراع . وهى تحمى حيوات الأفراد وأموالهم فى مقابل خضوعهم لها خضوعاً مطلقا . فما تأمر به خير ، وما تنهى عنه شر ، وإرادتها هى القانون الأعلى .

لا نريد أن نقف عند هذه النظرية التى تقول بضرورة الحكم المطلق ، والتى هى النتيجة المنطقية لمذهب المادة . وإنما نريد أن نشير — فى ختام هذا البحث — إلى أن هوبز يختلف عن بيكن فى ناحيتين هامتين : أما أولاها فهى أنه يقول بنظام ميتافيزيقى : النظام المادى . وأما الثانية فهى أنه يعطى القياس قيمة تفوق قيمته عن بيكن . لقد أغفل هذا الأخير ، حين جعل الاستقراء المنهج الكلى ، أمرين :

١ : الدور الذى يلعبه الإستنتاج فى الرياضيات .

٢ : الدور الذى لعبه المنصر الرياضى والنظر القبلى فى مكتشفات القرن الخامس عشر . ومن هنا فإن هوبز يقف موقفاً وسطا بين مذهب التجربة الخالص ومذهب ديكارت العقلى .

(بغداد) **عبد الكريم الناصرى**

الوحدة والحكم الذاتى فى أرلندة يعتزون بانتساب عدد من الأدباء والكتاب لحزبهم .

وكل محاولة لتبيان آرائه السياسية تعد ناقصة إذا لم تتناول عقيدته فى الحكم الذاتى لإرلنده . فقد عارض بقوة قانون الحكم الذاتى الذى صدر سنة ١٨٨٦ ، وكتب إلى جريدة التايمس مقالا يحتج فيه على السياسة الخرقاء التى يرتكبونها بسن مثل هذا القانون . وفى هذا الاحتجاج نراه يعدد المساوىء التى يرتكبها القوم فى إرلنده وطالب بإزالتها والقضاء عليها . واقترح إنشاء نظام حكوى فى إرلنده يرتبط تمام الارتباط بالحكومة المركزية فى لندن .

وهذه المحاولات العديدة التى قام بها من الناحية السياسية لم تكن كافية لإقناع القوم بشخصيته كسياسي بارع . فلم يصبح عضواً فى البرلمان ولم تكن له القوة يوما ما لإدارة دفة الإنتخاب ، ولكن عند وفاته نرى البرلمان يعلن الحداد عليه رسمياً مدة ليست بالقصيرة ، مما يدل على تأثرهم بنظرياته وآرائه التى كان لها شأن عظيم فى التأثير على أفكار القوم ، ووضعها فى الصورة التى يريدها .

وفى الحقيقة كان أرنولد حر الفكر يجاهد فى سبيل إعطاء سائر الأمم المستعمرة حريتها وخاصة إرلنده . ولكن هذه الحرية لا تعنى انفصال هذه المستعمرات انفصالا تاماً عن الحكومة المركزية ؛ بل تظل تهتدى بهديها وتستن سننها .

كتبه ومؤلفاته :

إن من الصعب علينا فى هذا المقال القصير أن نحاول تحليل جميع الكتب التى ألفها أرنولد من أدب وشعر وفلسفة ودين . ولكنى أكتفى بتحليل بعض مؤلفاته تحليلا موجزاً يظهر لنا نبوغه وعبقريته الأدبيتين . وهذه المؤلفات هى : —

١ — أمبدوكليس على جبل إتنا

ظهر هذا الكتاب سنة ١٨٥٢ يحوى بعضاً من خير القصائد التى كتبها المؤلف فقابله الجمهور بفتور شديد مما كان يدعو إلى يأس أرنولد وقنوطه لولا التشجيع الذى قابله به الشاعر روبرت براونينج المشهور . ويشتمل هذا الكتاب على قصائد عدة أهمها « أشعار الذكرى » التى قالها فى رثاء الشاعر الكبير وليم وردزورث . ومطلع قصيدته كما يلى :

« لقد دفن جيتى منذ مدة طويلة فى مدينة ويمر .

« وقد شهدت بلاد اليونان جهاد بيرون الطويل وموته

« ولكن وفاة هذا العظيم كانت منتظرة منذ مدة طويلة

« لتخمد جذوة الشعر .

« ما الذى يمكننا أن نقوله فى وصف وفاة وردزورث ؟ »

وقد أعجب براونينج بهذا الكتاب إعجاباً شديداً دعاه إلى إعادة طبعه مرة ثانية سنة ١٨٦٧ . فكان الموضوع والأسلوب كلاسيكي جذاب . وقد وصف أرنولد أمبدوكليس وصفاً دقيقاً وأظهره بصورة فيلسوف يونانى ولد فى جزيرة صقلية فى القرن الخامس قبل الميلاد وفلسفته الباقية لدينا تدل على تصوفه وعلى حياة الأحلام التى كان يحياها .

والأغنية التى ينشدها أمبدوكليس كأنه بها لا تقل عن قصيدة (ربى بن عزرا) فى القوة والخيال الشعريين فهى تحوى بعض الأبيات الرائعة كقوله :

« قد نرغب فى الحصول على الهدوء النفسى .

« ومع ذلك فإننا لا نتطلع إلى أنفسنا .

« ونحب القضاء على التعاسة والبؤس .

« بينا لا نحاول الإمتناع عن الشرور والآثام » .

وأكثر أبيات هذه القصيدة روعة هى أغنية غالسيس فى نهايتها .

« إن هذه الأمكنة لا تصلح لسكناك أيها الإله العظيم أبولو .

« ولكن حيث تلتقى الجبال الغربية بصخور الشواطئ والبحار .

ويتممها بقوله :

« لقد أتى أبولو قائداً .

« بفرقته الموسيقية المؤلفة من تسعة أشخاص .

« فالقائد جميل .

« وكل الأعضاء من أهل السماء » .

وجمال هذين المقطعين يتلخص فى احتوائهما على بعض الاصطلاحات الشعرية ويمتاز المقطع الأول بأسلوبه الشعرى الذى

يعد أساساً من أسس الفن والأدب .

والقسم الثانى من هذا الكتاب يشمل على أقصوصة تريسترام والفنانتين الملقبتين بأيسو لت . وقد أحب تريسترام إحدى هاتين الفنانتين ولكنه اضطر إلى الزواج من الفتاة الأخرى : ولم يكن أرنولد موفقاً جداً فى سرد هذه القصة لأنه لم يتمها ولكنه جاء بها بطريقة جذابة . وبعض أبياتها لا يسعنا إلا ترددها لتشبع شهوتنا باللذة التى نجنيها منها :

« إن صوتها ليعلو على الضوضاء فيصل إلى أذنى .

« وأرى لألاءها من خلال الرماح المتشابكة .

« فتظهر ميتة تحت غطاء الشباب والعنفوان » .

وليس من المستحسن قراءة هذه القصيدة للقصة التى تحكيها . فهى أشهر من أن تقرأ فى مثل هذا الشعر الذى لا يظهرها بل يحافظ على غموضها وإبهامها . ولكنها تقرأ فى نفسها لهذه الأبيات الرائعة التى لا يمكن نكران قوتها وعذوبة أسلوبها .

٢ — رستم وسهراب

أجمع محبو أرنولد على أن هذه القصيدة من خير ما نظمه الشاعر . وقد ظهرت لأول مرة سنة ١٨٥٣ تحمل بين ثناياها جمالا طبيعياً مبتكراً يندر أن يوجد فى قصائده الأخرى . فهى قصة بطولة أسيوية نظمها الشاعر فى قصيدة من الشعر المرسل متبعاً فيها أسلوب الشاعر اليونانى العظيم هوميروس فى إلياذته . والقصة فى حد ذاتها رائعة ولكنها طويلة ، ولا يمكننى سردها فى هذه الرسالة لطولها . ولكنها تتلخص فى مبارزة وقعت بين والد وولده وكلاهما يجهل صاحبه . سقط الولد صريعاً فعرفه الوالد وحزن حزناً شديداً لقتله ولده . صمم على الانتحار فشجعه الولد بقوله :

« لا ترغب يا والدى فى الانتحار — يجب عليك أن تعيش .

« لأن كثيراً من الناس خلقوا للقيام بأعمال جليلة فى حياتهم

« بينما هناك كثيرون قدّر عليهم أن يعيشوا مغمورى الذكر ثم يموتون .

« وإنى لأتوسل إليك أن تقوم بجلائل الأعمال التى كنت

« أتوق لعملها فتجنى نصراً آخر وفخراً فى حياتك »

يقلد أرنولد هوميروس فى سهولة وبساطة . فهذه القصيدة تحوى مشاعر خيالية رومانتيكية تعبر عنها تضحية الشاب فى سبيل القيام بجلائل الأعمال وعظائمها . فيموت فى الآونة الأخيرة التى كان يطمح فيها أن يصبح من كبار المحاربين والأبطال مقتولا بيد والده الذى يجهله ولا يعلم بوجوده .

٣ — ميروب

فى هذه الرواية التمثيلية نرى أرنولد يحاول أن يجعل من بوليفونتيس ملكا قوياً عاقلا يقوم بخير الأعمال للتكفير عن الذنوب العديدة التى ارتكبها أيام شبابه . ولم يكن أرنولد فى هذه الرواية موفقاً تمام التوفيق لأنه لم يخلق فيها شخصية تجتذب الجماهير وتأسر قلوبهم . ومع أن أسلوبها يونانى صرف إلا أن تقليده ليفوق تقليده فى رواية « الاطلانتيد فى كاليدون » أما من حيث الجمال والروعة فإن « ميروب » تقصر بكثرة عن سابقتها التى مع شذوذ أسلوبها وعدم ترتيبه تحوى روحاً فنية خالدة . فميروب جسد بلا روح وهى لا تحوى العاطفة التى تتقد فى الرواية الأخرى .

وقد نجحت الرواية نجاحا لم يكن ينتظره مؤلفها وبيعت بكثرة فى الطبقات الراقية من الأمة ، بينما طبقة العامة لم تأبه لها لعدم تفهمهم الآراء الفلسفية العديدة التى يضمنها فيها . وفى القصائد التى تحويها أبيات رائعة خالدة . ومنها هذه الأبيات :

« إن الطغاة ليجعلون من البشر رجالا حسنى الأخلاق

« أكثر مما يتظاهرون » . أو

« إن تاجك ليقضى عليك بينما لسانك ينقذك مما يحل بك »

أو الأربعة أبيات التالية :

« اسمع هذه الضوضاء التى تنبعث من الشوارع الأخرى

« واسمع ما يحدث من قتل الناس فى مثل هذه القاعات

« وهكذا تحكم أنت كما كان والدك يشاء ويهوى

« أو تحكم فتجعل من أعدائك عبيداً يخضعون لأمرك »

وجميع هذه الأبيات تخلو من القافية والوزن ، ولذا فإنها عدت خشنة الأسلوب مع احتوائها لبعض الأفكار المألوفة .

هذا العالم المتغير :

هل يكشف الفيتامين عن سره؟

للأستاذ فوزى الشتوى

الفيتامين والأكسوجين :

يسجل الفيتامين فى هذه الأيام صفحة جديدة فى تاريخ الصحة البشرية وعلاج العقم الإنسانى والروماتيزم ووجع الظهر وكل ما له صلة بتليف العضلات وتصلبها . وهو يطرق اليوم واديا جديداً غير الوادى الذى عرفناه فكلنا يدرك أهمية الفيتامين للاحتفاظ بالصحة ولكننا لم نعرف السبب .

ويدور الآن بأذهان العلماء سؤال : ما هى العلاقة بين كمية الفيتامينات فى الجسم والتفاعل الأكسوجينى مع أعصابه وعضلاته ؟

ولا يجول هذا السؤال فى أذهانهم عن مجرد تخمين أو فرض خيالى ، بل تدعمه حقائق واكتشافات علمية . وله قصة طويلة بدأت عام ١٩٢٢ حين اكتشف فيتامين E . وخلاصتها أن حيوانات التجارب تصاب بالشلل إذا حرمت منه . فإذا استخرجت عضلاتها الملتهبة وجدتها مخرمة كقطعة جبن نخرها الدود .

وقيست كيات الأكسوجين التى يستنشقها حيوان التهبت عضلاته فوجد أنها تتضاعف مرتين ونصفاً عن الكمية التى يستهلكها وهو فى صحته ، ومن ثم نبت الفرض العلمى بأن فيتامين E يحفظ أنسجة الجسم من الاحتراق بالأكسوجين ويمنعه من التأثير عليها . ويقصر عمل الأكسوجين على مهمته الأساسية التى نعبر عنها بالتنفس .

تأثيره على العقم :

ظن العلماء على أثر اكتشاف هذه المادة أنهم وفقوا إلى علاج يشفى حالات العقم فى الإنسان ويزيل الأسباب التى تقضى على الأجنة وهم فى بطون أمهاتهم أو بعد ولادتهم بفترة معينة .

واحتضن البحث عالم دانيمركى اسمه فويت موللر .

ولكنا لو أردنا مقارنتها مع غيرها من روائع الشعر لعدت من سقط المتاع .

٤ — مقالات فى النقد :

ظهر هذا الكتاب سنة ١٨٦٥ ويعد من أحسن مؤلفاته فى عالم النثر ؛ فهو المحور الرئيسى الذى يرتكز عليه نقده ، وتعتمد عليه شهرته . ومع قلة انتشاره بين طبقات الشعب ؛ إلا أن جمهرة النقاد أعجبوا به أيما إعجاب . وقد أحدث حركة جديدة فى عالم النقد الانكليزى . فهو لم ينتقد فى كتابه هذا جمهرة الكتاب ولكنه علم الآخرين كيف ينتقدون ؛ فوضع قواعد جديدة يسير عليها النقاد فى البحث والتحليل .

وفى الطبعة الثانية من كتابه هذا كتب أرنولد مقدمة قيمة يخاطب فيها جامعة أكسفورد خطابه الشهير الذى يقول فيه : « إنها بدينة جيلة ، صفحتها بيضاء ناصعة لم تلطخها الحياة العقلية التافهة التى سادت البلاد مدة من الزمان » .

وفى هذا الكتاب وضع أرنولد بعض قواعد فى علم النقد ، منها ماهو مهم ومنها ما هو تافه .

ومن شروط النقد فى رأيه الرغبة والميل . فكل ما هو مرغوب حسن وقيم والعكس بالعكس . وفى هذا الكتاب يعرف مؤلفنا الشعر بقوله : « الشعر هو أحسن الطرق فى الدلالة على الأمور وأكثرها تأثيراً فى نفوس القراء » .

ومن آرائه القيمة فى عالم النقد الطريقة التى خالها أحسن الطرق فى دراسة الشعر والتفكير فيه . فقد اعتقد أن أهم مايتوخاه دارس الشعر هو الفكر أو الغاية . فالفكر هو الحقيقة الراهنة التى يبنى الشعر على أساسها . ولا شك أننا بعد مدة قصيرة سننظر إلى الشعر كالوسيلة الوحيدة لتفهم الحياة ودراسة مناحيها المختلفة ؛ فبدونه لا قيمة للعلوم وسيأتى يوم عما قريب يحل فيه الشعر محل الفلسفة والأديان . فقديماً دعاه وردزورث بخلاصة روح المعرفة أو بالنتيجة المتوخاة فى عالم العلوم والمعرفة . وما الدين والفلسفة إلا خيالات وأشباح تجول جولاتها المعهودة فى عالم المعرفة . وسيأتى يوم عما قريب ننظر فيه نحوهما نظرة المستخف المهمل فنشمر بسخافتها وقلة ما فيها من المدارك والمعلومات .

(البقية فى العدد القادم)

خيرى حماد

واختار العالم ٧٤ امرأة يلدن الأطفال أحياء ، فلا يلبثون أن يقضوا نحبهم بعد سنة أو بضعة شهور . واتبع فى علاجهن اعطاءهن مقادير وافرة من زيت الحنطة الكريه الطعم وهو أغنى مصدر لفيتامين E . ونجحت تجربته ولكن إلى حد ، فإن ٥٩ امرأة فقط تيسر لهن القدرة على ولادة أطفال أحياء لا تتأثر حياتهم بالعوامل الخارجية . وظلت الباقيات محتفظات بسيرتهن الأولى يعانين الحمل والوضع ويرين أطفالهن فى شهورهم الأولى ثم يواريهم التراب .

وجربه العالم مراراً فكانت النتيجة واحدة ولم يصل إلى حل حاسم لجميع أطراف الموضوع بل وجد العلم سبيله إلى اتجاه آخر يؤدى إلى فكرة جديدة ، فلوحظ أن حيوانات التجارب إذا منع عنها فيتامين E تصاب بالشلل ، كما لوحظ أن نشاط القردة فى تسلقها الأغصان يقل كلما قل نصيبها منه حتى إذا وصل النقص إلى حد معين رقدت مشلولة بدون حراك .

وكان من الطبيعى أن تشرح فإذا بعضلاتها كالمصفاة تتناوبها الثقوب ، وإذا العلم يلمس ناحية من المرض المعروف بتصلب العضلات فأية علاقة بين الفيتامين وبين العضلات ؟

اتجاه جديد :

والمعروف أن تصحيح العضلات والأعصاب إن انتابها مثل هذه الأعراض من المسائل التى يعجز الطب عن إرجاعها إلى حالتها الأولى ، فهى فى عالم العلاج بمثابة ساق يفقدها الإنسان ولن يفيد لإعادتها أية جرعة أو أى دواء ولكن فيتامين E ارسل فى العلماء بصيصاً جديداً من الضوء .

فهل آلام العضلات إنذار بنقص كيات فيتامين E ؟

إننا نسمى التهاب العضلات بأسماء مختلفة فان كانت فى الظهر سميناها لومباجو وإن كانت فى الساق سميناها روماتزما ، ومنشؤها واحد . وهى بأنواعها وأسمائها المختلفة منتشرة بين الناس .

وتوافر الدكتور شارلس ستينبر ج من أمريكا على البحث فاختار ٦٠ مريضاً وغذاهم بجرعات كبيرة من فيتامين E فبرىء منهم ٥٥ من أمراضهم فى مدة تراوحت بين ثمانية أسابيع وثلاثة وثلاثين ولكن آلامهم توقفت عقب الأسبوع الأول .

من ذكريات الطفولة :

وصادف الأطباء عقبة تحول دون استخدام فيتامين E على نطاق واسع فأن الحصول عليه بالطرق الصناعية التى اكتشفت عام ١٩٣٨ كانت باهظة التكاليف فيساوى الرطل الواحد منه ٣٦٠ جنيهاً إلى أن ظهر كيماوى اسمه هكمان كان يشتغل فى تجارب تجفيف الأفلام فى مصانع كوداك . وكان يجرب إحدى طرق التجفيف فى أنبيق مفرغ من الهواء للحصول على ضغط منخفض يساعد على سرعة الغليان بدون ارتفاع كبير فى درجة الحرارة .

وفى أحد الأيام كان هكمان يسير الهوينا فى طريقه فوقف قبالة أحد الحوانيت يرقب معروضاته ، وهناك شهد زجاجات زيت كبد الحوت ، فأحس بالقيء يتولاه ، إذ ذكر طفولته حينما كانت أمه تجرعه مادته الكريهة التى عافت نفسه طعمها ورائحتها فسأل نفسه :

— لماذا لا يستخرج الفيتامين الحيوى من هذا الزيت المؤلم ؟ لماذا لم يجمعه العلماء فى أقراص صغيرة يبتلعها الإنسان فلا تتلوى أمعاؤه ؟

وشغلت الفكرة باله ، فما كاد يرى الأنبيق المفرغ من الهواء حتى طرأت على ذهنه تجربة : فلماذا لا يغلى ذلك الزيت فى الأنبيق فيتيسر له الحصول على مبتغاه دون أن يقتل فيتاميناته ؟ وهرع إلى الحانوت ثانية ، فاشترى زجاجة من زيت كبد الحوت ، وعاد بها إلى أنبيقه لينفذ فكرته

ونجحت التجربة وولدت صناعة جديدة ، وافتتح مصنع كوداك فرعاً جديداً لتقطير الزيوت ، فلما أعلنت الحرب وحرمت الولايات المتحدة من حيتان النرويج وزيتها غذت المصانع الشعب بالفيتامين المستخرج من أسماك المياه الأمريكية

من مخلفات المصانع :

وتحول « هكمان » إلى فيتامين E يجرب استحضاره ، وكان هدفه الإنتاج الرخيص الهين . وكان من اليسير أن يستخرجه من زيوت الحنطة ، ولكنها كانت غالية الثمن مما يتعذر معه إنتاج الفيتامين بأثمان ميسورة للفقراء ورقيقى الحال

وفكر فى زيوت النباتات وأهمها حبوب الصويا والفول

السودانى وبذرة القطن . والمعروف أنها تحتوى على واحد فى الألف من فيتامينات E ، فلما مرت فى عمليات الحزم والضغط ، وجد أن فيتامينها قل إلى النصف ، فأين ذهب النصف الآخر ؟

ووجه همه وهم أتباعه إلى مهملات المصانع التى تستغل هذه الزيوت ، فوجد النصف الباقى قد تسرب إلى قاذوراته ومهملاته من أوراق لف ونباتات حزم . وإلى كل مكان انتقلت إليه الحبوب أو زيوتها .

ومن هذه المخلفات التى تعودت أن تلقيها المصانع (كزبالة) استخرج مادته الثمينة بتقطيرها بالأنبيق الفرغ ، فهبط ثمن رطل الفيتامين من ٣٦٠ جنيها إلى عشرة جنيهات . ووجد الناس وفرة من مادته كما تيسر للأطباء ومعامل التجارب ما يساعدهم على الاستمرار فى أبحاثهم

ويحتاج جسم الإنسان من هذا الفيتامين فى كل يوم إلى كمية تتراوح بين ١٠ — ٣٠ ملليجرام أى ما لا يتجاوز ثمنه بضعة مليمات

وكثير من آلام الظهر والمفاصل تنتج من تأثير أمراض أخرى ليست وحدها كفيلة بإلقاء المريض فى فراشه ، ولكن إحداثها للألم يلزم المريض الفراش شهوراً وسنين ، فكان من المباحث الرائعة أن عولج أولئك المرضى بحبوب فيتامين E فزالت آلامهم وعادوا إلى أعمالهم

ويكثر فيتامين E فى ردة القمح والخضروات ، ولاسيما أوراقها والإكثار من التغذية بها مفيد جداً للحوامل وأطفالهن . ويعد حيوياً لصحة الأعصاب والعضلات ، ولعل هذا البحث يفسر عادة المرضعات عندنا من الإكثار من أكل الفجل والجرجير .

قلم حبر لسنة كاملة :

سجلت إحدى شركات صناعة أقلام الحبر ، قلما عاديا جديدا يستطيع الكتابة فى الماء على عمق خمسين ألف قدم فلا يؤثر الماء على الحروف ولا يزيل المداد .

ويتغذى سن هذا القلم بنوع جديد من المداد يجف بمجرد ملامسته لورقة أو قطعة قماش أو أى مادة صالحة للكتابة . ويصلح خزانه لتغذية القلم مدة سنة كاملة يتغير بعدها بخزان جـــديد .

ولهذا القلم أهميته فى اكتشافات أعماق البحار ، فكثيرا ما كان الغواصون يفقدون حياتهم نتيجة لحوادث تحدث لهم وهم فى الأعماق فلا يدرى أحد ماذا حدث أو الأسرار التى رأوها فى الأعماق وبواسطته يدونون ملاحظاتهم فيستطيع زملاؤهم معرفتها .

ومن الطبيعى أن فائدته قد تعم المدنيين ، فكثير من مستخدمى أقلام الحبر يتضايقون من عمليات ملئه بين يوم وآخر ، ولكن مثل هـذا القلم سيوفر عليهم ملأه عاماً كاملا لا يخشون فيه نفاد مداده .

عصر الطيران بيدأ

بدأت المطارات الأمريكية تهتم بتنظيم حركة مرور الطائرات الدنية فتضع فى طرقها علامات لسير الطائرات والسيارات . فالمعروف أن الطائرات تحتاج إلى طرق خاصة لهبوطها ولوضعها فى حظائرها .

وتنتظر شركات أمريكا أن يقبل شعبها على الطيران اقباله على السيارات فيصبح لكل فردين من السكان طائرة كما هى الحال فى السيارات . وتصمم مصانع الطائرات أنواعا من ذات الراكبين ، منها يصعد عموديا وما يحتاج إلى مسافة لسيره .

وقد وضع مطار لاجارديا لافتات يديرها رجال البوليس كما يفعلون مع السيارات . وهذه اللافتات مؤلفة من جزئين أحدهما يأمر بسير الطائرات والآخر بوقف الطائرات ويسمح للسيارات بالسير

١٤ مليما للميل بالطائرة

وتنتج شركات الطيران البريطانية طائرات صغيرة تصلح لنقل ١٢ راكبا أو حمولة طن من البضائع ولكن عملها سيقتصر على المسافات القصيرة .

ومدى طيران هذا السفن الهوائية ٤٥٠ ميلا تسيرها بسرعة ١٠٥ ميلا فى الساعة ويتكلف مسيرها ١٤ مليما فى الميل الواحد .

ويقول غواة الرحلات الخلوية إن هـذا النوع صالح جداً للرحلات الخلوية وأعمال الكشافة لأنها مصنوعة مثل سيارة نقل كبيرة يسهل تحويلها لشتى الأغراض .

فوزى الشتوى

بعـــد الحرب

للأستاذ كمال النجمي

لمن أربع يشجو القلوب دثورها   تحمل أهلوها وأقوت قصورها
منازل كم باتت بأمن وغبطة   وناز لها غافى العيون قريرها
تحيّفها الموت الوحيّ فأصبحت   بلاقع تهتاج الدموعَ قبورها
نعم درست من حسنها كل لمحة   إذا ذكرتها النفس هيج ضميرها
ولولا يد للحرب ما غيل أمنها   ولا باعد السُّمّار منها سرورها
سلوا : أين أوربا وماشاد أهلها   وأين مجاليها الفساح ودورها ؟
وأين رياض أثّ منهن كرمها   وأين دنان طاب فيها عصيرها ؟
وأين صباياها الملاح سوافرا ؟   وهل حبّب الأقمار إلا سفورها ؟
معاهدُ فيها للقلوب منازه   أضاءت لياليها الحسان بدورها
لسرعان ما جال الردى فأدالها   كأن لم يكن رىّ القلوب حبورها
سلوا غائل الأرباع لو يُسأل الردى   ألم تجن موتاً إذ زهاها غرورها
تملكها زهو القوىّ فأوفضت[1]   جوارح تغتال الهمام صقورها
فأين ليوث يتقى الدهر بأسها   إذا ما دأت هز السماك زئيرها
تباهى بها الجرمان حتى تبددت   حزائق أسرى لا يُعدّ غفيرها
وما العاشقون الحرب إلا عصابة
إذا مُكِّنت في الأرض فاضت شرورها
وليس الذى يستعبد الخلق بطشه   بناج إذا ما غيظ يوماً شعورها
فهل مُبلغ عنا بنى مصر عصبة   حموا أمماً أن تُستباح ثغورها
بأنا وقد كنا لهم خير مُسعد   إذ الحادثات الدهم طمّ نكيرها
نذكّرهم والحرب أُخمد وقدها   بما قطعوا والحرب ذاك سعيرها
بذلنا لهم أمناً ومالا وأنفساً   يجل عن الحصر القليل وفيرها
ولما دجا ليل الخطوب وأشرقت   قناتهمُ أن يُستلان عسيرها
مددنا لهم راح المعونة برّةً   تعاضدهم حتى انجلى قمطريرها
وإن وردت أجنادهم حوض وقعة   فنحن لها خلف الخطوط ظهيرها
منحناهم من قوتنا ونفوسنا   فهم أمة جازت ونحن جسورها
ولم تنس مصر دورها إذ تقوضت   وغيل بها ولدانُ مصر وحورها

(١) أوفض : أسرع .

تعاورها (الأعداء) بضعة أشهر   ولم تك إلا الدهر طولا شهورها
طوائرُ تجتاز السماء مغيرةً   ألا شد ما راع النفوس مغيرها
إذا زأرت هبّ الرقود كأنما   دعاهم إلى يوم القيامة صورها
أصابت رجالا آمنين وروّعت   صغاراً وشيخاناً يجل وقورها
إذا قوضت من لندن بعض دورها   على الرغم مما ذاد عنها نسورها
ففى مصر أمثال لذاك عديدة   إذا أُنصفت لا يُستقل كثيرها
وللماسطا (روميلُ) سطوة ظافر   وبان من المهواة[1] حيناً شفيرها
وقفنا لهم دون الحوادث وقفة   تغنت بها أقلامهم وصريرها
وكنا لهم أعوان صدق تحاشدوا   على المحنة الكبرى فهان خطيرها
صبرنا لها حتى تبلج فجرها   وأذّن بالنصر المبين بشيرها

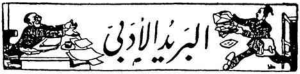
* * *

فيا حلفاء النيل أين مواثق   منمقة ألفاظها وسطورها ؟
صدحتم بها فوق المنابر عذبة   كما صدحت فوق الغصون طيورها
فكانت حداء ساقنا عذبُ لحنه   كقافلة تُحدى فتدأب عيرها
فهل حان تحقيق الذى قد قطعتمُ   وآن لمصر أن يبين مصيرها ؟
ولسنا وإن كنا السماحَ ضيافة   سوى أُسد غيل لا تُرام ظهورها
ألقحها[2] حرباً عوانا إذا انجلت   عدانا ولم يعد الأباعد خيرها
وكيف يذيق النيل أوّلها لظى   أليماً ويغتال الرجاء أخيرها ؟
على أننا نرجو اعتدال أمورنا   وحق لمصر أن تصح أمورها

* * *

بني مصر إن الأرض خيس ضياغم   فهل أنتم مثل الضعاف جزورها[3]
حيتم حياة المستنين[4] لتنصروا   قضية قوم لا يُضام نصيرها
فها هى ذى أمنية النصر حققت   وجلجل فى سمع الوجود نضيرها
ولا رأىَ إلا أن تهبوا جماعةً   فاصلحت دار تشظى عشيرها[5]
لنـــا وطن حر نريد حياته   كما حى عملاق الدنا وصغيرها
وأنفس أحرار إذا سيمت الأذى   رأى عسلا صابَ المنون غيورها
وإنا وإن نيأس من الشيب إذ جروا
لإحراز أســلاب يُذم حقـــيرها

(١) المهواة : الهوة .
(٢) ألقح الحرب : أشعلها .
(٣) الجزور : الذبح من الابل
(٤) المستنين : المجدبين .
(٥) تشظى : تفرق



مقاطعة الصهيونية :

كان الأستاذ عادل حمزة بدير من المحامين المعروفين فى دمشق وكيلا لجماعة من يهود فلسطين فى قضية مهمة فى محكمة الاستئناف فى دمشق موضوعها ملكية قرية على حدود سورية له منها فائدة ومنفعة وأجر كبير ، فلما قررت مقاطعة الصهيونية ، رأى أنه لم يعد يجوز له السير فى القضية ، فكتب إلى موكليه أنه قد عزل نفسه من الوكالة تنفيذاً لقرار الجامعة العربية وأبلغهم وجوب حضورهم بأنفسهم المحاكمة ، أو توكيل غيره ، وأنه مرجع إليهم الأجر المقدم الذى دفعوه له .

أخبرنى بذلك ، فرأيت فيه مأثرة تستحق أن تنشر فى الرسالة مجلة العرب ، وقدوة صالحة يقتدى بها ، فأنا أنشرها وأبعث إليه بإعجابى وإكبارى .

على الطنطاوى

لفينا شباب يعجب المجد فعلهم ... هم روح مصر فى الحياة ونورها

فيا بنى مصر دعتكم بلادكم ... وما غيركم من جور عاد يجيرها

سراعاً صغار النيل لبوا نداءه ... فقد خذل الأوطان ضعفاً كبيرها

وما غيركم ينتاشها من عذابها ... ويطلقها من بعد ما ضاق نيرها

فكونوا لها جيش الخلاص فإنكم ... نفوس زكت حتى أضاء طهورها

بنى مصر قد حان التفات لإخوة ... تبيت من البلوى بحرّ صدورها

إذا العدل لم ينظم بنى مصر كلهم ... فأقرب شىء أن يجوع فقيرها

عجبت ، وهل فى مصر إلا عجائب ... إذا خطرت فى نفس حرٍ نثيرها ؟

للصانعين الخبزَ واللبس كسرةٌ ... وخرقةُ جلباب تهاوت ستورها

وللناعمين المترفين نعيمها ... وآكالها موفورةً وحريرها

لهم بُر مصر طاعمين وشُهدُها ... وللشعب منها فُومُها وشعيرها

ألا مصلح فينا فيدرأ ديمة ... إذا انبجست أعيا الجهود مطيرها

كمال النجمى

زرقة العين يمن :

نقل الأستاذ العلامة النشاشيبى (فى عدد الرسالة ٦٥٥) قول الزمخشرى : « إن الزرقة أبغض شىء من ألوان العيون إلى العرب ... »

والحافظ السخاوى والمحدث العجلونى يقولان : زرقة العين يمن ، ذكره فى الجامع الصغير عن أبى هريرة بلفظ : الزرقة فى العين يمن ، قال المناوى : أى بركة ... قال الشاعر :

وما عليك أن تكون أزرقا ... إذا تولى عقد شىء أوثقا

كما فى (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى) والمقاصد الحسنة للسخاوى

محمد شفيق

١ — النفاق فى الأدب :

النفاق فى الأدب يجرى على سنن النفاق الاجتماعى سواء بسواء ، فكما أن الناس أسرفوا فى مجاملاتهم الكلامية الكاذبة ، أسرف الأدباء فى مراعاة التجمل ، ولجأوا إلى الكناية والمجاز ، واستعملوا المحسنات البديعية ليخفوا المعنى الصريح الذى يريدون .

ولا كان كذلك الأدباء فى عهود الأدب الزاهرة ، وما زلنا نقع كلما شققنا كتاباً من الكتب القديمة ، على المعانى تلتمع صريحة واضحة . ولا مشاحة فى أن العهود الماضية كانت عهود تماسك خلق ، والوازع الدينى أشد ما يكون أخذاً للناس فى أسباب الحياة ، فإذا نزع الأدباء فى هاتيك الأزمان إلى الصراحة التى نستهجنها اليوم فى كتب الأدب الحديث ، فإنما يحمل ذلك على أن الكتب لم تكن متداولة قديماً إلا بين الخاصة ، فلا خطر ولا ضرر من شيوع بعض ما فيها من ألفاظ قد يأباها الذوق أو يأباها العرف .

أما الآن ، ونحن فى عصر تزايل خلق ، فلا مرية فى أن الذوق لا يستسيغ كثيراً من الألفاظ كالتى استعملها الجاحظ مثلا فى كتاب الحيوان أو كتاب المحاسن والأضداد ، ذلك لأن هذه الكتب أمست فى متناول الناس جميعاً ، يطالعها الأستاذ ويطالعها تلميذه ، ومن ثم يكون الضرر فى الشيوع .

غير أن للتاريخ حرمة ، فينبغي ألا تحل كلمة محل أخرى ، ولا يحذف لفظ ليظهر مكانه خاوياً ويكتب فى هامشه مثل هذه العبارة « كلمة تنافى الأدب » أو غير ذلك ، فالحذف هنا لا يتفق والأمانة العلمية ، وقد يذهب القارئ مذاهب شتى فى تأويل اللفظة المحذوفة ، فيجيء الضرر على حين قصد الناشر النفع .

لقد قرأنا كثيراً من الكتب القديمة التى أعيد طبعها وتصويبها ففزعنا لكثرة ما حذف منها من العبارات « النابية » أو « التى تنافى الأدب » ، فاضطررنا إلى الرجوع إلى الطبعات القديمة الممسوخة الطبع والمشوهة الحروف ، فوقعنا منها على الأصل القريب . ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا ما قلنا إننا فى كثير من الأحيان لم نر نبواً ولا خروجاً على الأدب المألوف .

على أن للعلم حقه ، وهو فوق الأدب ، وفوق الذوق ، والناس لا يجترئون على حذف لفظ من ألفاظ القرآن الكريم أو الكتب المقدسة الأخرى ، ولا يطمسون ألفاظاً فى الحديث الشريف بحجة قصاراها أنها لا تتسق والعصر الحديث . فحرى بالناسخين أن يبقوا على أمانتهم تلك فى نشر الكتب القديمة ، وليس شىء أولى بالاتباع من الحق الصريح .

٢ — فيشر ومعجمه :

قالوا : إن إدارة مجمع فؤاد الأول للغة العربية أرسلت تستفسر عن مصير المستشرق الألمانى الدكتور فيشر عضو المجمع منذ نشأته

ولقد عرفنا الدكتور فيشر عن كثب يوم كان كاتب هذه السطور فى عداد موظفى المجمع ، فإذا هو رجل ذرّف على السبعين ضربه الشلل فى فكه الأسفل ، إذا تكلم فلا يكاد يبين .

ولقد كان الدكتور فيشر أظهر الأعضاء المستشرقين ، حين نهد لوضع معجم لغوى تاريخى يبدى تحولات الألفاظ العربية خلال القرون .

ولقد نذكر أن كثيراً من اللغويين شجبوا عمل هذا المستشرق الكبير وسمعنا المرحوم الشيخ أحمد الإسكندرى يقول عنه إنه عمل لا يتم ، وقال غيره متهكما إنه « مشروع نازى » !

بيد أن كل أولئك لا يذهب بجلال هذا العمل ، ولو أنه تم لكان مفخرة لمصر ولمجمعها . ولا نريد أن يصرف غياب الدكتور فيشر المجمع عن إكمال عمل يستحق الكمال .

٣ — ديوان ابن الرومى :

أصدرت وزارة المعارف قراراً بتأليف لجنة لجمع ديوان ابن الرومى ونشره مصححاً . وهذه اللجنة مؤلفة من الأساتذة : كامل كيلانى ، ومحمد شوقى أمين ، ومحمد جبر ، ومحمود لطفى .

والأديبان الأولان غنيان عن التعريف ، وأما الآخران ، فقد غلب عليهما التواضع العلمى فلا يكادان يظهران للجمهور فى كتاب أو مقال . ولعل هذه هى الساعة الأولى للتعريف بفضلهما ونشر أدبهما بين الخاصة والجمهور .

وأول ما قرأنا ديوان ابن الرومى إنما طالعنا النسخة التى نشرها صديقنا الأديب الكبير الأستاذ كامل كيلانى ، أذاعها على الناس أيام الشباب والفراغ ، يوم انصرف هو للأدب ، وانصرف غيره للذاذ الحياة وأطايبها . فإذا اقتنص له الكاشحون بعض المآخذ فحسبه أنه كان أول المتصدين لعمل لا يقدم عليه سوى المغامرين الشجعان .

(الرمل) **منصور جاب الله**

لجنة النشر الفلسفية :

تكونت هيئة من بعض خريجى قسم الفلسفة بجامعة فؤاد الأول قوامها الأساتذة : أنور فريد ، وسعيد زايد ، ومحمد إمام الحوت ، ومحمد محمد وهبه ، باسم « لجنة النشر الفلسفية » ، تهدف إلى نشر الدراسات الفلسفية التى ترتبط بحياتنا الواقعية ارتباطاً وثيقاً ، وذلك عن طريق ترجمة وتأليف بعض الكتب وإذاعة بعض المحاضرات . وستظهر باكورة أعمالها قريباً ، وهى ترجمة سلسلة الكتب السيكلوجية التى تصدرها مجلة « بسيكلوجست » تحت عنوان « Practical Psychology Hanolbooks » .



حـــازم ... !

للأستاذ عدلي طاهر نور

— ١ —

— حنان !

— ماذا يا حازم ؟

كانت حنان مستلقية على العشب تنظر إلى السماء بعينين حالمتين وقد شبكت يديها تحت رأسها لتتقى صلابة الأرض ، وسقط شعرها الفاحم متدرجاً على ذراعيها الناصعتين والخضرة الناضرة فأكسب تآلف هذه الألوان وجهها جمالا بارعاً ، وكان حازم مضطجعاً على جانبه بالقرب منها يعبث بالعشب وعلى شفتيه ابتسامة الذكرى .

مالت حنان برأسها قليلا لترد على نداء حازم بقولها : « ماذا يا حازم ؟ » فقال:

— هل تذكرين يوم تعارفنا ، حينما قدمت إليك فظللت ممسكا بيدك وقد بهرتني صورتك وأذهلني جمالك فلم يردني إلى صوابي غير تخضب وجهك وتهكم الأصدقاء ؟ يا لها من لحظة لا أنساها ! فقد تاه الطرف في صفاء تقاسيمك ، لا يستقر على جمال حتى يجذبه جمال آخر . وهل تذكرين ذلك اليوم ، حينما ابتعدنا عن الأصحاب فوق المقعد تحت الصفصاف ؟ كم بقينا طويلا في صمت عميق ، هذا الصمت الذي يخدر الحواس وينشط المخيلة ولا يقطعه غير اختلاس النظر ليغذي الخيال . وتلك اللحظة ، هل تذكرينها يا حنان ؟ تلك اللحظة التي تقابلت فيها عينانا فحاول كل منا أن يحول نظره ولكنه ما استطاع . فقد شخص بصرانا وتخضب وجهانا من المفاجأة ، ثم ابتسمنا فكانت الابتسامة إذناً بالكلام .

أغمضت حنان عينيها تستعيد الماضي وقد أشرق وجهها بنشوة الذكرى ، وامتلأ صدرها بلذة الرؤية . وصمت حازم وعاد يعبث بالعشب ويستنشق النسيم الملىء بالذكريات ، وهاج قلبه بالحب فنطق يقول :

— لا شك يا حنان أن حبي لم يخف عليك . فكل ما فيّ ينبض بالعاطفة . ولكن هل تعلمين قدره ؟ إن المرأة تأسر الرجل بجمال خَلقها أو حسن خُلقها ؛ وأنت يا حنان قد جمعت الجمال كله . ويزيد في ولهي ما بك من سمو ساذج يصدر من القلب . فلست كمن شاهدت من النساء يتصنعن السمو في نظرة أو لفتة أو مشية ، فلا يعدو الأمر الظاهر . إن ما بك من فضائل يا حنان يسحر لبي ويملك قلبي .

فاعتدلت حنان وعيناها تفيضان حباً ، وقالت وصوتها يصوّحه الوجد :

— وأنت يا حازم . أما تعرف أنك سيد قلبي ؟ لست أملك فصاحتك فأصف لك حبي ؛ ولكني أشعر ... أشعر أنك كل شيء في حياتي ؛ فطيفك يلازمني في يقظتي وأحلامي . وإني لأمرض لبعدك وأسعد بقربك . آه يا حازم إن حبي لك لعظيم !

— إن روحينا يا حنان قد امتزجتا ؛ فما من قوة تفرق بيننا . أنا سعيد يا حنان . وما أستطيع أن أكتم سعادتي فأنا أرددها لكل ما حولي ، للشجر والطيور ، للقمر والنجوم . وأوحي بها إلى كل من يصادفني فتنبسط الأسارير وتبتهج الأنفس . ما أجمل الحياة إذا ملأها الحب والسعادة معاً ... وسكت حازم فجأة فقد بدت في عيني حنان سحابة حزن انحدرت دمعاً . ولم يلبث أن صاح :

— حنان أنت تبكين ؟ بالله أما تفصحين ! فكم لمحت هذا الشجن يكسر طرفك ويؤلم قلبي . ولكن غمرة السعادة جارفة فما كان ألمي يدوم أطول من خفقة ، والآن أنت تبكين فما أستطيع صبراً . بالله يا حنان ما ذا بك ؟ حدثيني .

لم تستطع حنان أن تغالب الدمع فقامت تجري وارتمت على مقعد قريب تذرف العبرات . وأسرع حازم وراءها وجلس بجانبها يجفف دمعها ويخفف تأثرها : أنا آسف يا عزيزتي ؛ فما أردت أن أثير ذكرى أو أنكأ جرحاً . وإنما ظننت أن الافضاء بذات الصدر يرفع عن النفس الحمل . هيا يا حنان . انسي كل شيء ولا تفكري في غير حبنا وسعادتنا .

فأجابت حنان على الفور: « لا يا حازم ، يجب أن تعلم . فأنا ... ولكن البكاء غلبها فلم تنبس بغير شهقة . فمدت يدها إلى حقيبتها وظلت تبحث فيها وهي لا تستطيع الكلام ولا تنقطع عن البكاء.

حتى أخرجت (دبلة) ذهبية وضعتها في بنصرها الأيسر . وكان حازم يتبعها بنظره مشدوهاً ، لا يعي ما تفعل ؛ ولكنه سرعان ما صرخ فزعاً : « أنت ياحنان . أنت ! » فأجابت بحزن عميق : « نعم ياحازم . تلك مشيئة القدر » وساد سكون طويل أثقله صمت الطيور كأنها أشفقت من التغريد على قلبين يتعذبان . ساد السكون فبدا صوت حازم المتصاعد فاجعاً يرسل القشعريرة إلى البدن . لمَ يا حنان ؟ لمَ تركتيني أتدله في حبك ؟ لم هذه القسوة ؟ ثم أمسك بيدها متوسلا: « قولي إنك تمزحين . قولي إنك لم تتزوجي. قولي لي أي شيء غير ذلك » . ولكن أصابعه لمست الدبلة فجذب يده بشدة وابتعد عنها قليلا وهو ينظر إليها نظرة الحزن والغضب والحب الخائب .

واندفعت حنان تقول : « أنا شقية يا حازم . فلا تقس عليّ ولا تزد في شقائي . أواه ! لو علمت كم قاسيت ، وصبرت حتى مل الصبر . أرهف الله حساسيتي إلى حد المرض فلم أنعم في دنياي بسعادة . وكان شغفي بالمطالعة منذ فجر شبابي طريقاً إلى الشقاء ، فقد غذيت عقلي وقلبي بأعلى المثل وأجل الأحلام . فكانت صدمة الواقع قاسية وتبدد أوهامي مؤلماً . وغشيني هم من الناس فأخلدت إلى العزلة وانطويت على نفسي حتى أذواني السقم وشفني الهزال وأزعج أمري والديّ ففزعا إلى الأطباء يرجوان لي علاجاً ، ولكن هيهات أن ينجع دواء الجسد في شفاء النفس ، فقررا آخر الأمر أن يزوجاني . واستقبلت حياتي الجديدة تهدهدني الآمال وتغمرني الأماني ؛ فقد كان قلبي يهفو إلى دار هانئة يرعاها زوج حنون ويبهجها أطفال عزاز ؛ ولكن جدي العاثر كان يلاحقني فكنت كالظمآى في صحراء ، أنشد السعادة وهي سراب .

أحببت زوجي لطيبة أخلاقه ، ولكنه كان يقتل حبي بإعراضه ؛ فقد طغى عشقه لعمله على كل عاطفة . وما كان يعنى بي أكثر من عناية الثري بتحفة تجمل بهو منزله . والله أعلم كم حاولت أن أوجد لنفسي في حياته أثراً ؛ ولكنه سامحه الله كان يعتقد أن سعادة المرأة أن تنعم بفاخر الزينة وأن تفوز بحرية التصرف . فنسي أن الزواج ألفة يوحيها الحب المتبادل ، وأن العشرة الخالصة لا تتحقق بغير صيانة هذا الحب . نسي أن الزواج شرع للصحبة المشتركة والتعاون الوثيق فتصفو الروح وترق الحياة . نسي أن ملاطفة المرأة والتودد إليها ليس مقدمة للزواج فحسب ، بل عاملا حيوياً في علاقة الزوجين . آه لو حاول الرجل أن يخبر زوجه فيحقق لها أحلام الصبا وسعادة الشباب ، إذن لأحبته العمر ولظل سيدها الأوحد وسلطان قلبها المطلق . ولكن الرجل وا أسفاه لا يحاول فهم المرأة وإدراك حقيقة نفسيتها ، ثم ينعتها بالبرود والأعراض ، ولا يلبث الزواج أن يصبح واجباً يؤدى . وهكذا عشت مع زوجي لا أحبه ولا أستطيع أن أكرهه . عشت معه بقلب ينغص بالخيبة والحسرة .

ولم يقف عذابي عند هـذا ، ولم يغفل القدر عني . ففقدت والديّ واحداً بعد آخر . ففقدت معهما قلبين كانا يعطفان عليّ ويخففان عني قسوة الحياة ، وشعرت باليتم يهصر قلبي والوحشة تفجع نفسي . ثم كانت صديقاتي ؛ فقد كن يروين لي بعضاً من حوادثهن ليخففن عني . فكان شعوري بهذا الفضاء الذي أحدثته النوائب في نفسي يشتد وينتشر . ولم ألبث أن ضعفت يا حازم تحت إلحاح صاحباتي ، فانطلقت معهن ذلك اليوم إلى حيث قابلتك . فكنتُ أنا الزهرة الذاوية ، وكنتَ أنت القطر الباعث . وساقني القدر في طريق الحب فلم أفكر لحظة ، ولم أنب إلى نفسي إلا بعد أن أحببتك . ولم أقو على الإفضاء لك بزواجي ، بتعاستي ياحازم .

وغلبها البكاء فانقطعت عن الكلام . وصاح حازم وهو يكفكف دمعه : « مسكينة يا حنان ! »

— ٢ —

مضى كل منهما في سبيله مكسور الفؤاد . وعادت حنان إلى عزلتها وقد حرك اليأس رماد قلبها وأهاج لهيب شجنها . وكانت تعمد ، حينما يشتد بها ألم الشوق إلى الذكريات تلتمس منها عزاء ضن به عليها العالم الخارجي ، فتصبح كصريع المخدر تقاسي بعد لذة قصيرة وسعادة واهية أشد الآلام . وكان أكثر ما يعذبها شعورها بما يكابد حازم من اضطراب نفسي بعد هذا الحادث ، ويأسها من حل لموقفها البائس . فما كانت تستطيع أن تهجر زوجها لطيبة قلبه ، وقد همت بذلك خضوعاً لحبها الجارف لولا أن خشيت لوم حازم فانتظرت أن يخطو هو الخطوة الأولى واستسلمت في انتظارها لحزن دائم وعزلة شديدة .

وعاد حازم وهو لا يفكر في غير اعتراف حنان ، ورأسه يدق بالحقيقة القاسية ، وقلبه يخفق بحبه الشديد . وكان كل عصب فيه ينبض بقوة كأنه يصيح : إنها متزوجة ! ومضت أيام قبل أن يسكن هذيانه ويروق ذهنه . ثم لم يلبث أن اختلى بنفسه في محرابه وهو يرتعد لمجابهة قلبه لعقله . كم كان يود أن يفر في هذه الساعة الحاسمة ، ولكنه كان يشعر بقوة خفية تدفعه إلى مكتبه

أخذ يراجع حديث حنان وهو يقطع الغرفة بخطوات واسعة وقد وضع يديه خلف ظهره وطأطأ رأسه لشدة التفكير. كان عقله الرشيد وتربيته القويمة قد حصنا نفسه؛ ولكن قلبه كان قويا بالحب ملتهبا بالشوق. فكان الصراع بين ضميره وعواطفه عنيفا. كان ضميره يثور تارة وقلبه يطغى أخرى، ونفسه بين هاتين القوتين حائرة معذبة.

كان يحدث نفسه قائلا: «ماذا دهاك يا حازم؟ كيف تخلد إلى هذا الوسواس فيحرضك على الشر، وتشارِ على هذا الحب فتسلب بريئا امرأته؟ كيف تقدم على هـــذا الأمر فتنقلب شيطانا يحث على المعصية ويهدم بيتا هادئا؟ كيف تحل رباطا مقدسا وتقطع صلة طاهرة فتحقر نفسك وتفقد عزتك؟ ثب إلى رشدك وعد إلى جهادك. فحذار حذار أن تستسلم لعواطفك. فالعاطفة المطلقة كالسيل، أوله انقضاض يجرف ويقتلع، وآخره نضوب وقحط. وقد وهبنا الله العقل لنقيمه سدا يحبس تلك القوة الطاغية وينظم تصريفها. إن حنان ليست لك يا حازم...»

ووقف حازم فجأة وضرب كفه بقبضته صائحا: «يجب أن تنساها». وتابع سيره وهو يكرر تلك العبارة بتؤدة ويقطعها ليوحي إلى نفسه معناها ويملي عليها إرادته. ولكن أنى لعقله أن يثبت ولم يكن أمر حبه مشكلة دارجة؟ فهو لم يكن يعرف الحب من قبل. أما وقد نهله فقد أصبح الأمر مشكلة حياته. فكان قلبه المضطرم يصهر عزيمته ويشوش منطقه، وحبه المتدفق يخنق ضميره ويذهب بصوته فلا تلبث نفسه أن تصيح:

«تبا لك يا حازم! مادمت عبدا لعقلك فقد تحرم الحياة ومتعها وتعرض عن الحب، فيطغى العقل وتنضب النفس ويفسد الذوق وتنقطع صلتك بالحياة. لا يا حازم. لا تفعل ذلك! إن حنان لك، فالأقدار لم تجمعكما عبثا. إنه نداء القلب فأنت تلبيه، وماء الحياة فأنت ترشف منه. وكيف يقبل عقلك أن يعيش زوجان بلا حب ويأتلف قلبان بلا تمازج؟ إن حنان لك يا حازم. ولك وحدك».

كان حازم يجد في حديث نفسه لذة عظيمة، ولكنها لذة يكدرها صوت الضمير الذي يأبى أن يخضع فيعود ويرتفع من الأعماق: «حذار حذار أن تسلك هـذا الطريق». فكانت نفسه كرمال الشاطئ بين كر الأمواج وفرها لا تهدأ ولا تستقر. كان حبه قويا، ولكن عقله كان يقظا وضميره حيا. ولهذا كان حزينا برما. فهو لا يستطيع أن يعود إلى حنان، ولا أن يبتعد عنها

وبيناهو في عذاب اليأس والتردد، إذ فاجأ نفسه بهذه الهمسة: «مسكينة يا حنان!». وكان يكرر تلك العبارة ولا يفطن بادئ الأمر إلى معناها. ولكن سرعان ما قفز من كرسيه حيث أقعده الأعياء، وهو يهتف: «نعم! مسكينة يا حنان» ألم ينطق بتلك العبارة من قبل عند ما قصت حنان عليه قصتها المحزنة؟ ألم تذرف حنان وقتئذ دموع الشقاء بين يديه فأرمضت قلبه؟ إذن كيف يتركها تذبل وتتعذب؟ كيف يقتلها بالهجر وهو لم يقس قط؟ كيف لا يعطف عليها ويؤنس وحدتها؟ إن في حبه لها صداقة، والصداقة عاطفة تجمع بين القلب والعقل. أليس من واجب الصديق أن يعين صديقه؟

ملأت الشفقة نفس حازم بغتة. وقد أثارها الحب ليستعين بها على العقل؛ فما كانت هنا غير قناع لبسه الحب فجأة فشلَّ العقل وأسكت الضمير. والحب قد يأتي بالمعجزات.

وخف حازم إلى حنان يتمتعان بسعادتهما السابقة فيركبان سيارته ويتنقلان بين الرياض، فتستلقي حنان على الأعشاب الغضة تنظر إلى السماء بعينين حالمتين، ويضطجع حازم على جانبه بالقرب منها، تعبث يداه بالأزهار ويشع وجهه بالغبطة.

— ٣ —

وحدث ذات يوم أن قام حازم وحنان برحلة من رحلاتهما العزيزة إلى ضواحي القاهرة، ودهمهما الليل في طريق العودة. وكان الليل مقمرا، فأغراهما جمال الطبيعة بالبقاء حيث كانا على شاطئ النيل.

كان القمر يسيل رقة تلين الأبدان، وكانت أشعته تهبط على المياه كقبلة العاشق على كتف حبيبته فتسري فيها رعشة لذيذة وتهتز لها اهتزازاً لطيفا. وكان هـذا الاختلاج يسحر الناظر ويهدهد عقله فيغوص في هذا المزيج من الأشعة والماء.

وكان السكون رائعـا يقطعه بل يزيده صفير الصرصور المتتابع فتؤثر وحدة الصوت المتواصلة في المرء، فتصيبه غشية هادئة ترفعه إلى عالم الأحلام، ويزيد نشوته عطر ثقيل من الزهور المختلفة ينتشر الى جسمه فيثقل تفكيره وأطرافه.

كانت الطبيعة تنشد نشيدها الأبدي في معبدها الساجي، وقد أطلقت بخورها العبق، ولبست حللها الفاخرة، فيتصاعد الى السماء تآلف من الأصوات والعطور والألوان، ينعقد سحبا رقيقة لازوردية رنانة تخلع على الأرض غموضا مقدسا، يحير البشر فيعتريهم الخشوع ويتشاءم الوجوم.

وكانت حنان مستلقية على العشب ، وقد أكسبها القمر شحوبا عاجيا ليس فى الانسان ، وجمالا مبهما ليس على الأرض ولا فى السماء ، جمالا يتصوره الشاعر فى مخيلته ويعبده فى خلوته كلما تردد عليه وتراءى له . وكان حازم مضطجعا الى جانبها يقلب الطرف فى جمالها وقد سلبته الفتنة كل إرادة ، وأثار الوجد كل حواسه . وتحولت حنان بنظرها إليه فتلاقت عيناهما وشخص بصراهما ، وكان ينبعث منهما بريق ساطع متدفق لم يلبث أن هدأ ورق . وفى همس يقطعه الهيام امتزج اسماهما : حازم ! حنان ! والتقت شفتاهما فى قبلة حارة طويلة . كانت عواطفهما كحمم البركان تصعد من الأعماق متراخية ملتهبة ثم تفيض فتنحدر بشدة كاسحة . وفى ذلك الوقت اختفى القمر وراء سحابة كثيفة كبيرة . وفى تلك اللحظة التى ينسى الانسان كل شيء غير أن الطبيعة حبته بقوة عاطفية جامحة ، فى تلك اللحظة التى تطغى فيها حرارة القلب على قدرة العقل ، فى تلك اللحظة لبيا نداء الجسد . إنهما من جسد ، والجسد ضعيف والهوى غلاب ، فكيف يعدمان الشهوة ؟ كان عقلها فى يقظتهما راجحا ؛ ولكن الطبيعة خدرت ذلك الحارس ، فتنفست الشهوة المكبوتة ، وكانت تعمل فيهما خفية والعقل يحجبها ، فجهلاها حتى نمت واشتدت فتحركت وغلبت

وظهر القمر ومر أحد العسس يقرع بنعليه الطريق ، فاستيقظ العاشقان من حلمهما اللذيذ وتبينا أمرهما مضطربين : وما أقسى أن ينقلب المرء من حال إلى آخر بلا انتقال . فاستولى عليهما الوجوم والحيرة ، وفرق الخجل بينهما لحظة طويلة قطعها حازم بعد جهد بقوله :

— إن الليل قد تقدم ، فدعيني أصحبكِ إلى منزلك .

ولم تجب حنان بغير نظرة مبهمة ، وقامت تخطو وئيدا إلى السيارة ، وأدار حازم المحرك وسأل :

— أين تسكنين ؟

ولم يكن حازم يعرف حتى ذلك الوقت مسكن حنان إذ كانت بعد كل لقاء تفضل أن ترجع وحدها . وأجابت حنان :

— فى الدقى ، سأبين لك الطريق .

— ٤ —

واندفعت السيارة إلى منزل حنان . فكان حازم يشعر كلما توغل فى السير أن الطريق مألوف . ولكن هذا الشعور لم يتعد طبقات نفسه الأولى فلم يلتفت إليه تماما ، حتى أشارت حنان بالوقوف . وبينما هو يودعها وقع نظره على منزلها فثبتت عيناه فى محجريهما وتملكه فزع شديد ؛ فصاح بصوت قلق يكاد يسمع :

— أنت ... تسكنين هنا ؟

فأجابت حنان وقد راعها حاله :

نعم ! ولكن ما ذا بك ؟ هل رأيتَ شبحا ؟

ولم يجب حازم وانطلق إلى مسكنه بأقصى سرعة . كان همه الأول أن يبتعد عن هذا المنزل ولكن صورته باتت تلازمه وتزيد فى عذابه . فكان يهمس : رحماك يا إلهى . فما أقسى العقاب !

كان منزل صديقه أحمد ، فكانت حنان إذاً زوج صديقه ...

وكان أحمد لا يجتمع بأصدقائه كثيرا لشغفه بالعلم وانقطاعه له ، ولكنهم كانوا يكنون له الحب والاحترام لدماثة خلقه وكرم طباعه . وهذا هو حازم ، بالقسوة القدر ، يكتشف أنه كان يخون صديقه فينقض عهد الصداقة . كأن يخونه فى عرضه . والعرض كيف يلأم صدعه ... آه . لو استمع إلى صوت عقله !

كان حازم يفكر فى ذلك فيحز الألم فى نفسه . كانت الصدمة عنيفة أودت بكل عاطفة أثارها الحب . فما وجد لفعله عذرا ولا لضميره ردا . وساد ضميره وقام يؤنبه بعنف ويلاحقه بشدة ، ونفسه قد خلت من كل توازن يقيه شر الاختلال . كان صوت الضمير يتبعه وصورة صديقه لا تفارقه ؛ فلم يستطع البقاء فى مكانه وخرج يهيم على وجهه فى الطرقات . ولكن الصوت كان يطارده فيعدو المسكين هربا منه ، فيملأ أذنيه ، فيسرع فى الجرى حتى يصرعه التعب ، فلا يلبث طويلا حتى يبدو له وجه صديقه يشخص إليه فى حزن وأسف ، فيعود إلى الجرى ليسقط مرة بعد مرة حتى خر على الأرض مغشيا عليه .

وأشرقت الشمس وقامت الطيور تعلن قدوم الصباح ودبت الحياة فى الكون ، ووقف الشرطى يتأمل جسما طريحا وانحنى يهزه ليتبين أمره ؛ فانتفض النائم وجلس لحظة ورأسه بين يديه ، ثم نظر إلى الجندى المستفهم نظرة بلهاء ولم يلبث أن نهض مسرعا وهو يهمهم بكلام لا يفهم .

إنه كان حازما الرقيق . صرعته الصدمة فاختل عقله ، وأصبح يكفر عن خطيئته . كان ملكا فى وحدته فسولت له النفس أن يهبط إلى الأرض ؛ فتدهور من العلياء وعاد آدميا تسوده الغرائز الشهوانية والرغبات الدنيئة ، واقترف الخطيئة فاستحق العقاب ، والسماء لا تغفر لملك هوى .

عدلى طاهر نور

من ذكريات الشباب

سقط بعض السطور من مقدمة القصة الثانية (اجترار) المنشورة فى العدد الماضى للأستاذ حبيب الزحلاوى فرأينا إعادة نشرها .

« حكايتى أيها الأصدقاء تدورحول الأثرالذى تركته حوادث الجهاد الوطنى فى نفسى ، لاحول أبلغ حادث حدث لى :

كنت أتوقع عندما عينت ضابطاً فى الجيش أن ألقى مشاكسة من زملائى الفرنسيين وتعالياً على الضابط « العربى » ، فوطدت النفس على التمسك بالكرامة مع السلاسة واللطف

نجحت بعض النجاح فى السير على منهاجى ، وكنت أفشل فى قطع ألسنة أولئك الضباط عن القدح فى قومى وسب «السوريين القذرين » ، ولا سيما حينما كانت تضمنا مائدة شراب ، ولم يكن يند عنهم إلا ضابط من رتبتى كان يقف دائماً فى وجه أولئك القادحين ، فيصدهم عن المضى فى طعن الأمة العربية إكراماً لى : « أنا زميلهم الضابط الكيس وللخلصاء الذين عرفناهم من السوريين » . فكان أولئك الضباط الأجلاف ينحرفون عن الموضوع ، ناسبين ذلك إلى ما يلاقون من الشعب من كراهية وبغض ، وكان ذلك الضابط — نضر الله وجهه — يدافع عن حق السوريين ، وينعت حكام قومه بالطيش والهوج فى مد حكمهم وبسط سلطانهم على شعب لا تنقصه خصيصة من خصائص الاستقلال ، ولا تعوزه الدراية بتحمل المسئولية الاجتماعية ، ولا الوعى القومى ، فقد استمد مزاياه من تاريخه العربى ومن الانقلابات التى تأثر بها فى مطلع هذا القرن ، وكان يقول :

« لقد أيقظنا نحن الفرنسيين نفوس الشعب السورى ذاته بتلقينه فى مدارسنا مبادئ ثورتنا للحرية والمساواة وتعاليمنا فن الحياة ، وكان يساير زملاءه فى الطعن على الدهماء فى كل الأمم ، لأنهم يتساوون والسوائم فى إرضاء شهواتهم وتسكين معدهم ، ولا فرق فى طوائف العامة بين شرقى وغربى وبين ألوان وأجناس .

وكان كلام ذلك الضابط الأريب يشجعنى على إبراز فضائل قومى الأصيلة والمكتسبة ، وعلى إبداء الرأى أيضاً فى الوسائل التى قد تقرب بين الحاكم والمحكوم » اشتعلت نار الثورة فى جبل الدروز ، وسرعان ما امتدت ألسنتها إلى دمشق فدينة حماه . جن جنون الفرنسيين ، فأمر قائدهم الأرعن الأعلى بإطلاق المدافع تدك قذائفها أحياء دمشق ، وانطلق أجناد الجيش فى « حماه » يمعنون فى قتل الناس وإحراق بيوتهم ومزارعهم . كانت أخبار الثورة فى كل ميدان تصلنا بالميعاد ، عرفنا بما حل بحملة الجنرال « ميشو » وكيف مزقها أبطال الدروز شر تمزيق ، وعرفنا أيضاً بفزع زهرة شبان دمشق من طلاب المدارس العليا يلتحقون بثوار الغوطة ، وهكذا كانت أخبار إخواننا الثائرين فى داخل البلاد من نساء ورجال ، وأخبار رجال السياسة منا البعيدين عن مواطن الخطر تصلنا منبئة بقيامها كلها متساندة متضافرة تعمل لجعل هذه الثورة هى الأخيرة للخلاص التام من حكم الأجنبى المستعمر

عملت ما فى وسعى لأقنع الأجناد الوطنيين تحت إمرتى أن نهرب بسلاحنا وميرتنا للالتحاق بإخواننا المجاهدين لتحرير الوطن وقبل انبلاج الصبح كانت دوابنا المثقلة بالأحمال على بضعة كيلومترات من مرابط الثوار ، والفضل فى هربنا يعود إلى زملائى الضباط الذى أثقل « الحشيش » أدمغتهم تلك الليلة ...

... فى منتصف ليلة من الليالى ، سرنا بطوائف منظمة من الثوار نقطع الطريق على حملة من الفرنسيين جاءت لتطويقنا من ناحية الشمال . بلغنا الموقع الذى قدرت أن الواقعة ستقع فيه ، ووزعت رجالى توزيعاً يوهم العدو بكثرة عددنا ، وأوصيت بعدم الإسراف فى إطلاق الرصاص ليكون متواصلا ، ووقفت فى مكان مرتفع مع بعض زملائى نرقب الموقعة ونديرها . لم أر ولم أسمع فى حياتى عن موقعة التزم رجالها ضبط النفس والعمل بإقدام وشجاعة وحزم كتلك الموقعة التى كانت كأن الصخور والمتاريس وأكوام الحجارة ، هى التى تصد قنابل المدافع ، وهى هى التى تتفجر فتطلق النار فتصيب الهدف ، وكأن رجالنا الأبطال ليسوا من لحم ودم ، بل قدر محتوم ينزع أرواح المستعمرين إلخ .

حبيب الزحلاوى